

المملكة العربية السعودية
جامعة الملك عبد العزيز مكة المكرمة
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا الشرعية



ابن الجوزي بين النأويل والنفوس

١٠٠٢٠٩٣

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في (١٠٠٢٠٩٣)



أعداد
أحمد عطيه الزهراني
بإشراف

الأستاذ الدكتور / عوض الله جاد حجاب

عام ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦ م

٩١٢

شكر وتقدير

أقدم خالص شكرى ، وعظيم امتناني ، وفائق تقديري لأستاذى الفاضل
فضيلة الأستاذ الدكتور عوض الله جاد حجازى الذى أشرف على هذه الرسالة
التي أقدمها اليوم الى قسم الدراسات العليا / فرع العقيدة ، وذلك لما قام به
نحوى من نصح وتوجيه ، لافى حدود الساعات المقررة رسميا بل كان الأمر أكبر
من ذلك حيث كان يستقبلنا فى أى ساعة من ليل أو نهار فى منزله من أجل بحوثنا
بوجه مشرق ، ونفس راضية مطمئنة ، لم نر عليه يوما الكآبة وعدم الرضا ، كل ذلك
كان باعث سمة صدره - حفظه الله ورعاه - وطول باعه وخبرته فى الاشراف ، وكثرة
من عرفهم من طلابه الذين مروا به فى حيات العلمية ، وإننى اذ أقدم له كلمة
الشكر هذه لأجدها - بحق - نغى بما يستحقه من تقدير . . أقول هذا
وفاً بما له علينا من جميل وعرفانا له بما قدم من نصح وارشاد .

كما أشكر جميع العاملين فى الدراسات العليا على ما قدموا لنا من تسهيلات
أثناء دراستنا بالقسم وأشكر جميع الاخوة والزلاء الذين ساهموا فى انجاح
هذا العمل بما قدموه لنا من مراجع وبأى صورة كانت تلك الساهمة

=====



الفهرس

المقدمة ١ - ٦

الباب الأول

التعريف بابن الجوزي	٩ - ٤٥
الفصل الاول . عصر ابن الجوزي	٩ - ٢٤
أ - الحياة السياسية	١١
ب - الحياة الاجتماعية	١٥
ج - الحياة العلمية	١٩

الفصل الثاني . حياة ابن الجوزي ٢٥ - ٤٥

أولاً : أ - نسبه ب - لقبه ٢٦

ج - مولده ٢٧

د - وفاته ٢٨

ثانياً : نشأته العلمية ٢٩

ثالثاً : شيوخه ٣١

رابعاً : مؤلفات ابن الجوزي ٣٩

الباب الثاني

موقف ابن الجوزي من قضية التأويل ٤٧ - ٩٩

الفصل الاول . المحكم والمتشابه ، والتأويل والتفويض

وآراء العلماء في ذلك ... ٤٧

البحث الأول . ورود ألفاظ المحكم والمتشابه في القرآن الكريم

أولاً : القرآن كله محكم ٤٨

ثانياً : القرآن كله متشابه ٥٠

ثالثاً : القرآن بعضه محكم وبعضه متشابه ٥١

البحث الثاني . معنى المحكم والمتشابه في اللغة وفي

اصطلاح العلماء

معنى المحكم في اللغة ٥٢

معنى المتشابه في اللغة ٥٣

أقوال السلف في المحكم والمتشابه	٥٤
أقوال الأشاعرة في المحكم والمتشابه	٦٠
أقوال المعتزلة في المحكم والمتشابه	٦٤
المبحث الثالث . مناقشة الآراء وبيان الراجح منها	٦٦
المبحث الرابع . في التأويل	٧٥
أولا : ورود لفظ التأويل في القرآن الكريم	٧٥
ثانيا : معنى التأويل في اللغة وفي اصطلاح العلماء	٨٠
سبب نزول آية آل عمران	٩٢
الخلاف في الوقف في آية آل عمران	٩٥
بيان الراجح من أقوال العلماء في المحكم والمتشابه	٩٧
المبحث الخامس . التفويض	٩٩
الفصل الثاني . في الصفات بوجه عام	١٠١ - ١٠٧
الجهمية والمعتزلية	١٠٢
الفلاسفة	١٠٤
الأشاعرة	١٠٥
الكرامية	١٠٦
رأى ابن الجوزي في صفات المعاني	١٠٦
الفصل الثالث في الصفات الخبرية	١٠٩ - ١٣٥
الفلاسفة والمعتزلة	١١١
الأشاعرة	١١٢
الكرامية	١١٨
موقف ابن الجوزي من الصفات الخبرية	١١٩
الفصل الرابع . مقارنة منهج ابن الجوزي بمنهج الإمام	
أحمد - رضي الله عنه - في الصفات الخبرية	١٣٧ - ١٥٠
الغصاة	١٥٢ - ١٥٥
المراجع	١٥٦ - ١٦٥

بسم الله الرحمن الرحيم

((مقبلة))

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .
أما بعد " فإن من نعم الله تعالى وتوفيقه أن التحق يقسم الدراسات العليا بكلية
الشرعة والدراسات الإسلامية ، بجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة ، لإكمال دراستي التخصصية
في (العقيدة الإسلامية) ، وذلك لما للعقيدة من أهمية عظمى في السلوك الإنساني
فهي التي تبنى عليها جميع الأعمال الشرعية ، فما لم يؤمن الإنسان ويمتد به وجوده إلى الله قادر ،
حكيم عليم ، وأنه سيحاسب الإنسان في الآخرة على ما قدم من عمل ، فإن خيراً فخير ، وإن شراً
شراً : أولم يمتد في الله وفي الجزاء ما قام بعمل الشائع ، من صلاة ، وزكاة ، وحج ،
وغیرها ، وما لم يؤمن العبد بيوم الجزاء والحساب ، ما أحسن معاملته للآخرين ، من إحسان ،
إلى الجار ، وبر بالوالدين ، وصدق في المعاملة وغير ذلك .

ولقد كانت العقيدة السليمة لها هذه الأهمية ، مكث الرسول عليه الصلاة والسلام في مكة
يدعو أهلها إلى تصحيح عقيدتهم ، وترك عبادة الأوثان ، وإخلاص العبادة لله الواحد الديان
مدة ثلاثة عشر عاماً .

وكان الأساس الذي تقوم عليه دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم أهل مكة يدور على ثلاثة
محاور أو ثلاثة اتجاهات هي "

الاتجاه الأول

دعوة المنكرين لوجود الله تعالى الذين يرون الموت والحياة ، وما يجري لهم
من مصائب الدنيا إنما هي من فعل الدهر ، وأثر الزمان ، وتماقبات الأقسام ،
كما أخبرنا الله تعالى عن اعتقادهم هذا بقوله تعالى " (وقالوا ما هي إلا
حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر) (١) ، أخذ يدعو هؤلاء
إلى الإيمان بالله تعالى ، والتصديق بوجوده ، ولم تكن هذه الدعوة لتتوقف
عند هذا الحد ، وإنما كانت مقدمة لدعوتهم إلى توحيد الله تعالى في العبادة
ذلك التوحيد الذي جاءت جميع الرسل من أجل الدعوة إليه ، وهو إخلاص
العبادة لله تعالى ، ونفي الشريك عنه جل جلاله .

الاتجاه الثاني

دعوة أولئك الذين آمنوا بوجود الله تعالى ، وأنه هو الذي يتصرف في الكون ، ويحيي ويميت ، وآمنوا كذلك بالبعث والجزاء ، ولكنهم مع ذلك جعلوا معه شركاء يتقربون إليهم بأنواع العبادة التي لا يستحقها فخر الله تعالى وحده ، من ذبح ، وتذرع ، ودعا ، وغير ذلك ، يقول تعالى مخبرا عنهم " (ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) (١)

الاتجاه الثالث

دعوة الذين يؤمنون بالله تعالى ، ولكنهم ينكرون البعث والجزاء بمسند الموت ، يقول الله تعالى مخبرا عنهم " (وضرب لنا مثلا ونبي خلقه قال من يحيى العظام وهي رميم) (٢) ، وقال تعالى " (وقالوا أتذا كنا عظاما ورفاتا أتنا لمبعوثون خلقا جديدا) (٣) دعوة هؤلاء إلى الإيمان بالبعث والجزاء ، وإلى توحيد الله تعالى ، وعدم إشراك غيره معه في العبادة . وليس كلاً منا مع هؤلاء جميعاً ، وإنما بحثنا سيتناول موضوع توحيد الأسماء والصفات ، وهذا الموضوع لم يوجد البحث فيه في عصر النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا في عصر الخلفاء الراشدين ، لأن الصحابة رضوان الله عليهم عندما كان ينزل القرآن عليهم يصف الله تعالى بأى صفة ، لم يناقشوها ، لأن لفهم العربية ، وسليقتهم السليمة ، كانت تمازجهم على فهم نصوص القرآن الكريم وآياته . ومن هنا لم يحصل نزاع ولا خلاف في عهدهم في موضوع الأسماء والصفات ، ولكن لما كثرت الفتوحات الإسلامية ، في الشام ، والعراق ، و مصر ، واختلط العرب بغيرهم من الأجانب من الفرس والروم ، بدأ الخلاف يظهر في موضوع الصفات ، لمواضع فكرية وسياسية جدد بعد عصر الخلفاء الراشدين . ولما كان موضوع الأسماء والصفات من الموضوعات المهمة في مسائل العقيدة ، والتي كثر الخلاف فيها ، والكلام حولها بين العلماء ، رأيت أن يكون بحثي لنهل درجة الماجستير في هذا الموضوع وعند عالم من أشهر علماء الحنابلة ، وهو (١) بالنجف ابن الجوزي

(٢) سورة يس آية (٧٨)

(١) سورة الزمر آية (٣)

(٣) سورة الاسراء آية (٤٩)

وقد كان اختياري بحث هذا الموضوع عند ابن الجوزي قائما على أسباب منها " -

أولا "

لقد حصل خلاف بين كثير من العلماء حول تحديد موقف ابن الجوزي من الصفات الخيرية ،
فبعضهم ^(١) يرى أنه مؤول ، قد سلك طريق المتكلمين في الصفات الخيرية ، وبناءً
على هذا فاقول ابن الجوزي وآراؤه في الصفات الخيرية محل نظر ، بينما يرى البعض ^(٢) أن
ابن الجوزي هو حنبلي سلفي الاتجاه ، لا سيما وأن ابن الجوزي قد ذكر
أنه يميز عن رأي الإمام أحمد ويدافع عنه . ويرى فريق ثالث " أن ابن الجوزي
مضطرب في آرائه المتعلقة بالصفات الخيرية " . (٢) .

فإنني أرى أن معظم هذه الأقوال من موقف ابن الجوزي في الصفات لا تستند
على بحث علمي ، فقد كان أصحابها يعتمدون في أقوالهم هذه على كتاب ابن الجوزي
(دفع شبهة التشبيه) فكل يحتاج به في الجانب الذي يرى أنه هو الصواب .

ثانيا "

أن ابن الجوزي نفسه ذكر في بعض مؤلفاته أنه يميز عن رأي الإمام أحمد ويدافع عنه
وبسبب هذا الخلاف القائم بين العلماء حول تحديد موقف ابن الجوزي من الصفات الخيرية
من جهة ، ودعوى ابن الجوزي أنه يقول برأي الإمام أحمد ويدافع عنه من جهة
أخرى ، رأيت أن أدرس هذا الموضوع ، كي تتبين حقيقة رأي ابن الجوزي في الصفات ،
ومقدار علاقته برأي الإمام أحمد ، وأن يكون هذا الموضوع هو البحث الذي أتقصد
به لتبيل درجة العاجستير في (المقدمة) بعنوان "

((ابن الجوزي بين التأويل والتفسير))

وبعد اختياري الموضوع ، وموافقة مجلس قسم الدراسات العليا عليه ، حاولت التخطيط
له ، ورسم المنهج والطريق الذي سأسلكه في الوصول إلى الهدف من الموضوع ،
فكان أن قسمت الموضوع إلى مقدمة ، وباين وخاتمة .

أما المقدمة "

فقد بينت فيها الدوافع والأسباب لاختيار الموضوع ، وبينت الخطة والمنهج الذي
سرت عليه في كتابة هذا البحث .

(١) مثل " إسحاق بن غانم المصلي .

(٢) مثل " ابن تيمية ، وابن رجب .

وأما الباب الأول "

فقد جعلته للتعريف بابن الجوزي ، وهو يتكون من فصلين "

الفصل الأول "

عن مصر ابن الجوزي ويشتمل على دراسة النواحي الآتية " -

- أ - الحياة السياسية .
- ب - الحياة الاجتماعية .
- ج - الحياة العلمية .

الفصل الثاني "

(حياة ابن الجوزي)

أولا "

- أ - نسبه .
- ب - لقبه .
- ج - مولده .
- د - وفاته .

ثانيا "

- نشأته العلمية .

ثالثا "

- شايعه الذين تلقى عنهم العلم ونبذة قصيرة عن أشهرهم .

رابعا "

- مؤلفات ابن الجوزي .

وأما الباب الثاني "

فكان لبيان موقف ابن الجوزي من قضية التأويل وهو يتكون من أربعة فصول

الفصل الأول "

كان لبيان معنى المحكم والمتشابه ، والتأويل ، والتفهيم ، وآراء العلماء في ذلك ويتكون هذا الفصل من خمسة مباحث " -

المبحث الأول "

• ورود ألفاظ المحكم والمتشابه في القرآن الكريم .

المبحث الثاني "

• معنى المحكم والمتشابه في اللغة ، ثم في اصطلاح العلماء .

المبحث الثالث "

• مناقشة الآراء ، وبيان الراجح منها .

المبحث الرابع

في (التأويل) وتناول الكلام فيه ما يأتي

أولاً

• ورود لفظ (التأويل) في القرآن الكريم ، والمعنى المراد به .

ثانياً

• معنى (التأويل) في اللغة ، وفي اصطلاح العلماء .

المبحث الخامس

• في (التفويض) وبيان المقصود به عند العلماء .

• ويمتثل هذا الفصل بمثابة التلخيص لفصول التي جاءت بعده .

الفصل الثاني

فقد كان لبيان آراء العلماء في مشكلة الصفات بوجه عام ، وبيان رأي ابن الجوزي فيها .

أما الفصل الثالث

فقد كان لبيان الصفات الخيرية ، ورأي ابن الجوزي فيها ، ومقدار صلتها بآراء الفرق الإسلامية ، وكذلك برأي السلف .

وأما الفصل الرابع

فقد كان للمقارنة بين رأي ابن الجوزي في الصفات الخيرية ، ورأي الإمام أحمد رضي الله عنه فيها .

وأما الخاتمة

فقد ذكرت فيها النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث .

هذا ولقد واجهتني صعوبات كثيرة في إعداد هذا البحث وكتابته منها

أن ابن الجوزي ترك مؤلفات كثيرة ومتعددة ، أغلبها مخطوط ، لم يحظ بالطبع ،

ولا بالتخريج ، مما اضطرني إلى التردد على كثير من المكتبات العامة والخاصة

في القاهرة ، والرياض ومكتبة جامعة الملك عبد العزيز بمكة وجدة . ومنها اختلاف

آراء ابن الجوزي وتعدد أقواله في المسألة الواحدة ، مما يضطر الباحث معه

أن يقرأه أكثر من كتاب في هذه المسألة ، ويحاول أن يبين أي الرايين أسبق

وأي الكتابين كان أولاً ، وهو عمل شاق يحتاج إلى معرفة زمن التأليف ومقارنة

الأسلوب .

وانني إذ أتقدم برسائلي هذه إلى قسم الدراسات العليا في كلية الشريعة

والدراسات الإسلامية بجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة ، وإلى أعضاء لجنة الحكم
المحترمين ، أرجو أن أكون قد وفقت إلى النهاية التي أشدها من خلال هذا البحث ، وهي تعرف
حقيقة رأي ابن الجوزي في موضوع الصفات ، وأن أكون قد وصلت إلى الحق فيه .
والله نسأل أن يكون عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم ، إنه خير معين ، وآخر دعوانا أن الحمد
لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه
أجمعين .

« الباب الأول »

في

« التعريف بابن الجوزي » ويشتمل على فصلين *

الفصل الأول * عصر ابن الجوزي *

الفصل الثاني * حياة ابن الجوزي *

((الفصل الأول))

((مصراعين الجسوزي) وشمس على النواحي الآتية "

أ- الحياة السياسية •

ب- الحياة الاجتماعية •

ج- الحياة العلمية •

تمهيد

عاش ابن الجوزي في القرن السادس الهجري على ما سمعنا من حياته . وإن شاء الله -
عند الكلام على حياة ابن الجوزي في الفصل الثاني ، والقرن السادس الهجري
يعني أنه معاصر للدولة العباسية التي ائتمت حكمها من عام ١٣٢ هـ - حتى
سقوط بغداد على يد التتار في القرن السابع عام ٦٥٦ هـ ، ولنا معنيين هنا
بدراسة الدولة العباسية تفصيلا ، ولا بيان الأدوار التي مرت بها ، ولكن
يمكننا القول " إن الدولة العباسية قد مرت بفترات من القوة والضعف ، وأن
أزهى عصورها قد انتهت في منتصف القرن الثالث الهجري ، أما بعد ذلك
فقد اعتراها التحلل والضعف ، وأنه كانت هناك دويلات قائمة داخل الدولة
العباسية ، وكان لهذه الدويلات في بعض الأحيان الحكم والسلطان ، ولم يكن
للخليفة العباسي سوى الاسم والرسم فقط ، أما التصرف في الدولة فكان يقوم به غيره
من السلاطين " الفزنويين ، أو السلاجقة ، أو الفاطميين ، والذي يعني هنا
هي الفترة التي عاش فيها ابن الجوزي ، وهي تمتد من عام ٥١٠ - ٥١٧ هـ ،
وهذه الفترة تعاصر (دور الانحلال العباسي وبداية نهايتهم) (١) وفي ذات
الوقت - وفي الطرف المقابل - تعني سيادة سلطان السلاجقة ، حيث اتسع سلطانهم
حتى نال سلطان البيت الفزنوي ، وكان عروهم أكثر ازدهارا ، وملكهم أعظم رقعة ،
وقوتهم أعز سلطانا ومنعة ٠٠٠ وإلى السلاجقة يرجع الفضل - بعد الله - في تجديد
قوة الإسلام ، وإعادة تكوين وحدته السياسية . (٢)

وللباحث أن يتساءل " من هم السلاجقة ؟ ومن أين أتوا ؟ وكيف دخلوا
بغداد ، وصارت لهم هذه القوة والمنعة في ظل الدولة العباسية ؟ ولماذا جلبة
على هذه الأسئلة نبدأ دراسة عصر ابن الجوزي بالحياة السياسية .

(١) الخولي " ابن الجوزي الواعظ ص ١٧ . رسالة دكتوراه ، مخطوطة في مكتبة كلية أصول الدين

بجامعة الأزهر .

(٢) د . حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام ١/٤ ، الطبعة الأولى ١٩٦٧

١ - الحياة السياسية

ينتسب السلاجقة إلى سجلوق بن تغلق أحد رؤساء الأتسراك (١) ،
والذين كانوا يسكنون فيما وراء النهر (٢) . يقول ابن خلكان " إنهم
كانوا يسكنون فيما وراء النهر ، في موضع بين وبين بخارى مسافة مئتين
فرسخاً . . . وكان عددهم مجل من الحصر والإحصاء ، وكانوا لا
يدينون بالطاعة لسلطان ، وإذا قصدهم جمع لاطاقة لهم به دخلوا
المفاوز ، وتحصنوا بالرمال ، فلا يصل إليهم أحد . (٣)
وقد ذكر ابن الأثير في سبب إسلام السلاجقة أن سجلوق بن تغلق
لما شب من الطوق وبلغ مبلغ الرجال ، ظهرت عليه أمارات النجاسة
ومخايل الذكاء ، وعرف بعملو الهمة ، وسعة العقل ، والكرم . . .
استمال قلوب رجال الدولة إليه ، فقره ملك الترك إليه ، ولقبه بلقب
(سباشي) ومعناه " قائد الجيش ، ولكن زوجة الملك أوجست منه
خيفة ، لما رآته من طاعة الناس له ، وانقيادهم إليه ، وحملت الملك
على قتله .

ولما علم سجلوق بالخبر ، خشي على حياته ، فسار على رأس جماعته
إلى دار الإسلام ، وتحول إلى الدين الحنيف ، وصح إيمانه ، وأقام
هو ومشيرته بنواحي جند (٤) ، وأخذ يخبر على بلاد الأتراك ،
الذين يحيطون في بلاد .

-
- (١) د . حسن إبراهيم " - تاريخ الإسلام ١/٤ .
(٢) المراد " نهر سيحون " وهو بفتح أوله وسكون ثانيه وحاء مهملة وآخره نون ، نهر مشهور
كبير بما وراء النهر ، قرب خجند ، بعد سمرقند ، يجسد في الشتاء حتى تجوز طمس
جمده القوافل ، وهو في حدود بلاد الترك . ١٠ هـ . ياقوت الحموي معجم البلدان ٢/٣١٤
(٣) ابن خلكان - وفیات الأعيان ١٥٥/٤ ، الطبعة الأولى سنة ١٣٦٢ هـ ، ١٦٤٨ م
(٤) جند " بالفتح ثم السكون ، ودال مهملة ، اسم مدينة عظيمة في بلاد تركستان ، بينها وبين
خوارزم عشرة أيام تلقاء بلاد الترك ، ما وراء النهر ، قريب من نهر سيحون ، وأهلها مسلمون
ينتحلون مذهب أبي حنيفة ١٠ هـ . ياقوت الحموي ٢/١٦٨

الذين كانوا لا يزالون على الكفر، وكان ملكهم يأخذ الخراج من المسلمين الذين يعيشون في بلاده ، وقد طرد سجناء على هذا الملك ، ضم بلاده إلى بلاد الإسلام ، (١) ، وقد عمل السلاجقة على توسيع ملكهم حتى أصبح أعظم رقعة ، وقوتهم أمر سلطانا ومنعة ، الأمر الذي دفعهم إلى التطلع إلى دار الخلافة العباسية ببغداد ، إذ أرسل محمد ابن ميكائيل بن سجناء ، الملقب طفول بك ، يستأذن الخليفة العباسي في دخول بغداد ، فأرسل الخليفة العباسي إلى طفول بك يستبضيه على السير إلى مصر العراق ، وذلك بعد أن تأكدت الوحشة وظهر الخلاف والشقاق بين الخليفة والعمارة البساسيري (٢) ، بسبب ما صح عند الخليفة من سوء عقده ، وشهادة جماعة ممن الأتراك منه ، أنه فازم على نهب دار الخلافة ، وأنه قد كاتب الفاطميين في مصر بالطاعة لهم ، وخلق ما كان عليه من طاعة العباسيين ، وأنه يريد القبض على الخليفة ، وما إن كتب الخليفة إلى طفول بك ، يأذن له في دخول بغداد بحيث انقض أكثر من كان مع البساسيري ، وعادوا إلى بغداد سرعا ، وأجمع رأيهم على قصد دار البساسيري ، وهي في الجانب الغربي ، فأحرقوها وهدموا أبنيتها ، ووصل السلطان طفول بك ، إلى بغداد يوم الإثنين الخامس والعشرين من شهر رمضان من سنة ٤٤٧ هـ ، وذلك بعد أن تقدم الخليفة إلى الخطباء بالخطبة لطفول بك بجوامع بغداد ، فخطب له بمسوم الجمعة ، الثامن والعشرين من رمضان من السنة ذاتها . (٣)

وقد عمل السلاجقة منذ توليتهم السلطة على استعادة نفوذ الخليفة العباسي على الأجزاء التي اقتصبها الشيعة الفاطميون في مصر ، مثل بدمشق ، والرملة ، وبيت المقدس (٤) ، مما أدى إلى ثقة الخليفة بالسلاجقة ، وتغويضهم في شئون البلاد والمباد .

(١) ابن الأثير ، الكامل ٤٧٤ / ١ بيروت للطباعة .

(٢) البساسيري ، هو الحارث بن أرسلان البساسيري التركي ، كان من مالِك بها الدولة ، وكان أولا مملوكا لرجل من أهل مدينة بسا ، فنسب إليه فقل له " البساسيري وتلقب بالملك العظفر ، ثم كان مقدما كبيرا عند الخليفة القائم بأمر الله ، لا يقطع أمرا دونة ، وخطب له على منابر العراق كلها . ابن كثير ، البداية والنهاية ٨٤ / ١٢ مطبعة السعادة

(٣) ابن كثير ، البداية ٦٦ / ١٢ وابن الأثير ، الكامل ٦١٠ / ١ حوادث ٤٤٧ هـ

(٤) د . حسن إبراهيم " الأنظم الإسلامية ١٨ من ابن الجوزي الواعظ ص ٢١

يصف ابن الأثير اجتماعاً دار بين السلطان طفول بك والخليفة في بغداد سنة ٤٤٦ هـ. وكان ذلك بعد أن تم للسلطان الإستيلاء على الموصل وأعمالها، وتسليمها لأخيها إبراهيم بنال، فيقول ابن الأثير: "فقال الخليفة لرئيس الرؤساء: قل له إن أمير المؤمنين شاكر لسعيك، حامد لفعلك، مستأنس بقربك، وقد ولاك جميع ما ولاه الله من بلاده، ورد عليك مراعاة عبادته، فأتق الله فيما ولاك، واعرف نعمته عليك فسي ذلك، واجتهد في نشر العدل وكف الظلم، وإصلاح الرعية، وأمر الخليفة بإفراضة الخلع عليه، ... وخاطبه بمك المشرق والمغرب" (١)

ولكن على الرغم من هذه الثقة الكبيرة، والصلاحات الواسعة النطاق، التي منحها الخليفة للسلطان، وعلى الرغم من الفتوحات التي كان يقوم بها السلطان لصالح الخلفاء، فإن أحداً من الطرفين لم يحاول بادئ الأمر استغلال سلطاته أو نفوذه ضد الآخر، بل قامت بين الأسرتين صلات اتصت بالروح الطيبة، والملاقة الحسنة ما دام كان الخليفة إذا ما ارتقى العرش، يبعث إلى السلطان السلجوقي لأخذ البيعة له، كما يلتزم السلطان السلجوقي بعد توليته الحكم التفويض من الخليفة في قيامه بالعمل، يقول ابن الأثير في وصف هذه الملاقة المتبادلة بين الفريقين: "وجلس الخليفة جلوساً عاماً سابع جمادى الأولى سنة ٤٥٦ هـ وشافه الرسل بتقليد إلى إرسال السلطنة، وسلمت الخلع بمشهد من الخلق، وأرسل إليه من السديوان، لأخذ البيعة، ... فوصلوا إليه وهو بتقجوان (٢) من أذربيجان، فلبس الخلع وبايع للخليفة" (٣)

(١) الكامل ٦٣٣ / ١ - ٦٣٤

(٢) تقجوان " بالفتح، ثم السكون، وجم، آخره نون، وهو بلد من نواحي (آران) وهو نخجوان، الحموى. معجم البلدان ٢٩٨ / ٥ وقال في موضع آخر ص ٢٧٦ عند ذكر نخجوان " وبعضهم يقول " تقجوان ٥١٠ هـ. ياقوت الحموى. و (آران) بالفتح، وتشديد الراء وألف، ونون " اسم أعجمي لولاية واسعة وبلاد كثيرة. وبين أذربيجان وآران نهر يقال له " الرس، كل ما جاوره من ناحية المغرب والشمال، فهو من (آران)، وما كان من جهة المشرق فهو من أذربيجان ١٣٦ / ١ معجم البلدان (٣) الكامل ٣٥ / ١٠

ولم تقتصر تلك العلاقات الطيبة ، والصلات الحسنة على مجال الحكم والسياسة
فحسب ، بل عمت الأسرتان - السلجوقية والعباسية - على تقوية تلك الروابط
برباط المصاهرة بينهما ، ففي سنة ٤٤٨ هـ عقد القائم بأمر الله علي أرسلان خاتون ،
ابنة داود أخي السلطان طفول بك ، (١) كما تم عقد آخر للسلطان طفول بك على
ابنة الخليفة القائم بأمر الله سنة ٤٥٤ هـ ، وكانت الخطبة قد تقدمت سنة
٤٥٣ هـ ، وقد جمع السلطان طفول بك الناس وعرفهم أن همه سمت به السعي
الاتصال بهذه الجهة النبوية ، وبلغ من ذلك ما لم يلقه سواء من الملوك (٢)
ولم يكن غريباً أن تنشأ بين السلاجقة والخلفاء هذه الروابط الوثيقة وهذه الثقة
المتبادلة ، إذا علمنا أن السلاجقة كانوا يمتثلون مذهب أهل السنة ، وهو مذهب الخلفاء
العباسيين ، ذلك أن الاتفاق في المذهب من أقوى الموامل على تقارب القلوب ، وتألف
النفوس ؛

يقول ابن كثير في وصف السلاجقة " (٠٠٠) وكان السلاجقة الأتراك يحبون أهل
السنة ويرفعون قدرهم (٠) (٣)

ولكننا إذا ما عدنا بالذاكرة إلى سبب دخول السلاجقة بغداد ، وهو ضعف الخلافة
العباسية في القضاء على الحارث البساسيري ، داعية الشيعة الفاطميين في مصر ،
لم يكن الأمر بعد ذلك مستغرباً أن يعود الخلفاء إلى ما كانوا فيه من الضعف والهوان ،
وأن يبلغ بهم الضعف إلى مفارقة بغداد خوفاً من السلطان وجنده ، بل وتمدى الأمر
إلى نهب دار الخلافة ، ويزداد الأمر سوءاً والخليفة ضعفاً ، إلى درجة أن يقسح
الخليفة أسيراً في بعض الأحيان في يد السلطان السلجوقي ، وذلك بعد أن استبد
السلاجقة بالسلطة ، ومزقوا عرى المحبة والوفاء ، التي كانت قائمة بين الأسرتين ،
ولقد ذهب إلى كتبنا ^{المتأرخ} لتذكر بعض الشواهد على ما حدث بين السلاجقة والخلفاء ؛

(١) الكامل ٦١٧ / ٩

(٢) الكامل لابن الأثير ٢٠ / ١٠

(٣) ابن كثير - البداية والنهاية ٦٩ / ١٢ حوادث ٤٤٧ .

وفي سنة ٥٢٠ هـ حدث خلاف بين الخليفة المسترشد بالله والسلطان محمود بن محمد بن ملكشاه ، مما أدى إلى خروج الخليفة وأتباعه إلى الجانب الغربي من بغداد ، وقد حدثت مناوشات بين مسكر الطرفين ، ترتب عليها دخول جماعة من مسكر السلطان دار الخلافة ، وتمكنوا من نهب التاج ، وسجّر الخليفة أول المعرم — سنة ٥٢١ هـ . (١)

وفي سنة ٥٢٩ هـ نشبت حرب بين الخليفة المسترشد بالله وبين السلطان محمود في شهر رمضان ، وقد انتهت الحرب بأسر الخليفة . (٢)

وفي سنة ٥٣٠ هـ نشبت الحرب بين الخليفة الراشد والسلطان محمود ، وذلك عندما إمتنع الخليفة أن يسلم للسلطان مبلغ أربعمائة ألف دينار ، ثبت على المسترشد بالله ، وقد إحتذر الخليفة الراشد بأن المال كله كان مع المسترشد بالله ، وقد نهب قسي هزيمته التي أسرفها . (٣)

وفي سنة ٥٥١ هـ في ذي الحجة حاصر السلطان محمد بن محمود بغداد ، بعد أن رفض الخليفة أن يلبي طلب السلطان " أن يخطب له بهقداد والمراق " . (٤)

وبعد هذا البهان العجوز عن الحالة السياسية في مصر ابن الجوزي يظهر لنا بوضوح سيادة المذهب السني ، الذي كان يمتنقه كل من السلاجقة والمباسبين ، وهم حكام البلاد ، فلم يكن إذاً هناك أي تأثير معاكس على اتجاه ابن الجوزي ، من الناحية السياسية ، إذ أن كل ما حدث من حروب آنذاك لا يخلوا من أن تكون حرباً بين السلاجقة والمباسبين ، وأنصار الشيعة الفاطميين ، أو أن تكون بين السلاجقة والمباسبين ، لا من أجل المذهب ، ولكن من أجل السلطة والنفوذ — !!

هذا بالنسبة للحروب الداخلية التي يكون لها الأثر الفعال في اتجاه شخص ما . ولكن ترى ما هو أثر هذه الحروب الداخلية على الحياة الاجتماعية ؟ إذاً ما من شك في أن لكل من الهدوء والاستقرار ، والنفوس والإضطراب أثراً على سلوك الأفراد والجماعات من الناحية المعاشية والسلوكية ، وفي الفقرة التالية ، وهي الحياة الاجتماعية يظهر لنا مدى الأثر الذي تركته الحروب الداخلية ، وبالله التوفيق .

(١) ابن الأثير — الكامل ١٠ / ٦٣٥ حوادث ٥٢٠ (٢) الكامل ١١ / ٢٤
(٣) الكامل ١١ / ٣٥
(٤) المصدر السابق ١١ / ٢١٢

ب - الحياة الاجتماعية

أما الحياة الاجتماعية في القرن السادس الهجري، فقد سارت سبيلها للحياة السياسية التي سادتها الفوضى والاضطرابات، نتيجة للحروب الداخلية التي كانت قائمة بين الخلفاء والسلاطين من أجل السلطة، والتي شغلت الحكم من رعاية أحوال الأمة، والنظر في مصالحها، والحفاظ على أمنها واستقرارها، مما أدى إلى انتشار الفساد الخلقي بين المجتمع، إذ شاع بين الناس - آنذاك - شرب الخمر، والزنا، والسرقة، وأكل الربوا، وتطفيف الكمال، وقطع الطريق وغير ذلك .

وابن الجوزي خير من يصف لنا الحالة الاجتماعية في بغداد، - في ذلك الوقت - إذ أنه أحد أبنائها مولدا ونشأة، فهو إذن الخبير بأحوال الناس هناك، يقول ابن الجوزي (نظرت إلى الناس فرأيتهم ينقسمون بين عالم وجاهل، فأما الجاهل، فانقسموا، فمنهم سلطان قد ربي في الجهل وليس الحرير، وشرب الخمر، وظلم الناس، وله عمال على مثل حاله، فهو لا بمعزل من الخير بالجملة .

ومنهم " تجار همتهم الاكتساب وجمع الأموال، وأكثرهم لا يؤدي الزكاة، ولا يتحاشى من الربوا، فهو لا في صور الناس .

ومنهم " أرباب معاش، يطففون الكمال، ويخسرون الميزان، ويخسرون الناس، ويتعاملون بالربوا، وهم في الأسواق طول النهار، لاهمة لهم إلا ما هم فيه، فإذا جاء الليل وقعوا نياما كالسكارى، فهمة أحدهم ما يأكل ويلتذ به، وليس عندهم من الصلاة خير، فإن صلى أحدهم نقرها، أو جمع بينهما، (١) فهو لا في عداد البهائم .

ومن الناس " ذروا رذالة في جميع أحوالهم، فهذا كناس وهذا زبال، وهذا نخال، وهذا يكسح الحش فهو لا أرذل القوم . (٢)

(١) لعل الصواب " بينها، أي بين الصلوات، ويحتمل جمع بين الصلاتين .

(٢) لعل مراده " أنهم لا يتحروا النجاسة، أو يهملون أداء العبادات، والا فإن هذا العمل

لا ينكره الدين لذاته، بل يحث على مزاولته الأعمال التي تكف صاحبها عن التسول، وتبعده

ومنهم " من يطلب اللذات ولا يساعد المعاش ، فيخرج إلى قطع الطريق ، وهؤلاء أحق الجماعة ، إذ لا عيش لهم ، فان التذوا لحظة بأكل أو شرب ، فحزرت الربح قصة هربوا خوفا من السلطان ، وما أقل بقائهم ، ثم القتل والصلب مسرع باسم الآخرة .

ومنهم " أرباب قري ، قد فهم الجهل ، وأكثرهم لا يتعاشى من نجاسة ، فهم في زمرة البقر ، ورأيت النساء ينقسمن أيضا ، ففهن المستصينة التي تبغى .

ومنهم " الخائنة لزوجها في ماله ، ومنهم " من لا تطلي ولا تعرف شيئا من الدين فهؤلاء حشو النار ، فإذا سمعن موعظة فانها كما (١) مرت على حجر ، وإذا قرئ عندهن القرآن فكأنهن يسمعن السم .

وأما العلماء " فالمتدثرون منهم ينقسمون إلى ذى نية خبيثة يقصد بالعلم المباحاة لا العمل ، ويميل إلى الفسق ظنا أن العلم يدفع عنه ، وإنما هو حجة عليه . وأما المتوسلون والشهرون ، فأكثروا يخشى السلاطين ، وسكت عن انكار المنكر ، وقليل من العلماء من تسلم له نيته ، وحسن قصده ، فمن أراد الله به خيرا رزقه حسن القصد في طلب العلم ، فهو يحصله لمتنفع به ، وينفع ، ولا يبالي بعمل مما يدك عليه العلم ، فتراه يتجافى أرباب الدنيا ، ويحذر مخالطة الموم ، . . . فان مخالطتهم فتنة في الدين ، إلا أن يحترز مجالسهم ، ومنهم من القول فيقول هو ويكلفهم السماع ، فذاك الذى ينفع وينفع به (٢) (١)

(١) لعل الصواب " كأنما مرت .

(٢) ابن الجوزى " صيد الخاطر فصل (٢٥٠)

ولم تكن هذه الصفات المتقدمة للمجتمع البغدادي - في ذلك الوقت ظاهرة فقط لمن ولد ونشأ في بغداد كابن الجوزي ، بل كانت ظاهرة وبشكل واضح ، وأخذت الطابع السائد للمجتمع آنذاك ، تظهر للفرع كما تظهر للعجم ، فأبن جيسر الاندلسي - مثلاً - يصف لنا في رحلته مجتمع بغداد - آنذاك - ولا يكاد يختلف عما قاله ابن الجوزي ، وإن اختلفت المبارات ، اللهم إلا ما لمسه منهم تجاه الغرباء من بغداد ، باعتباره غربياً عنها ووافداً عليها ، يقول ابن جبير في وصف أهل بغداد " (وأما أهلها فلا تكاد تلقى منهم إلا من يتصنع بالتواضع بهاء ، ويذهب بنفسه عجباً وكبرياً ، ويزدرون الغرباء ، ويظهرون لمن دونهم الأنفة والاباء ، ويستصفرون من سواهم الأحاديث والأنباء ، قد تصور كل منهم في معتقده وخلده أن الوجود كله يصغر بالاضافة لبلده ، فهم لا يستكروا في محصور البسيطة مثنى غير مشاوم ، كأنهم لا يعتقدون أن لله بلاداً أو مباداً سواهم ، يحسون أنيالهم أشراً وبطراً ، ولا يفتخرون في ذات الله منكراً ، يظنون أن أسنى الفخار في سحب الأزار ، ولا يعلمون أن فضله بمقتضى الحديث المأثور في النار ، يتبايعون بينهم بالذهب قرضاً ، وما منهم من يحسن لله قرضاً ، فلا نفقة فيها إلا من دينار تقرضه ، وعلى يدي مخر للميزان تعرضه ، لا تكاد تظفر من خواص أهلها بالورع المفيف ، ولا تقع من أهل موازينها ومكاييلها إلا على من ثبت له الوصل في سورة التطفيف ، لا يزالون في ذلك بمعب ، كأنهم من بقايا مدين قوم النبي شبيب ، فالغرب فيهم معدوم الأرقاق ، مضاف الانفاق لا يجد من أهلها إلا من يحاط به بنفاق ، أو يهش إليه مشاشة انتفاع واسترقاق كأنهم من التزام هذه الخلقة القبيحة على شرط اصطلاح بينهم واتفاق ، فسوء مباشرة أبنائها يغلب على طبع هوائها ، ومائها ، ويملل (١) حسن السموع من أحاديثها وأنبائها ، أستغفر الله إلا فقهاءهم المحدثين ، ووعاظهم المذكرين ، لا جرم أن لهم في طريقة الوعظ والتذكير ومدامسة التنبيه والتبصير ، والعتابة على الإنذار المخوف والتحذير ، مقامات تستنزل لهم من رحمة الله تعالى ما يحط كثرة من أوزارهم ، ويسحب ذيل المعفو على سوء آثارهم ، ويمنع القارعة الصماء أن تحل بديارهم ، لكنهم معهم يضربون في حديد بارد ، ويرومون تفجير الجلامد ، فلا يكاد يخلو يوم من أيام جمعياتهم من واعظ يتكلم فيه ، فالعنفق فيهم لا يزال في مجلس ذكر أيامه كلها ، لهم في ذلك طويقة مباركة ملتزمة (٢)

(١) يضيف .

(٢) ابن جبير - رحلة ابن جبير ص ١٦٤ - ١٦٥ ، دار بيروت للطباعة والنشر ١٣٧٩ هـ

ولما كان الفرض من دراسة الحالة الاجتماعية في عصر ابن الجوزي هو التعرف على الأثر الذي أحدثته هذه الحالة في التأثير على اتجاهه ، فإنه يمكننا أن نقول وبكل تأكيد " بأن الحالة الاجتماعية لم يكن لها أي أثر عليه ، وذلك استنادا إلى ما قاله هو عن نفسه وهو مخاطب ولده في رسالة ينصحه فيها أسلما " (لفتة الكبد إلى نصيحة الولد) ، يقول ابن الجوزي " (وما ذل أبوك في طلب العلم ، ولا خرج يطوف في البلدان كغيره من الوعاظ ، ولا بحث رقعة إلى أحد يطلب منه شيئا ، وأموره تجري على السداد) . (١) وهذا الكلام - إن صح - يدل على أن الرجل شريف النفس ، عالي الهمم ، لم يقف بهاب أمير ، رغبة أورمية ، وكان زاهدا في الدنيا ، قانعا بما قسم الله له ، راضيا به ، ولم يتخذ العلم وسيلة للكسب المادي ، ولكن هذه الحالة الاجتماعية السيئة قد أثرت فيه ، من ناحية تقصده للمجتمع ، ومؤخذته له في التقصير في أمور الدين ، ولم يسلم من نقد العامة ، والخاصة ، وخير شاهد على ذلك كتابه " تلخيص بلهسس أو تقصيد المامسا " .

(١) لفتة الكبد ص ١ عن ابن الجوزي الواعظ ص ٦٥ ، رسالة دكتوراه مخطوطة في

كلية أصول الدين بجامعة الأزهر .

ج - الحياة العلمية *

بالرغم مما أصاب الحياة السياسية من اضطراب ، بسبب الحروب الداخلية التي كانت قائمة بين الخلفاء والسلاطين ، وبالرغم مما أصاب الحياة الاجتماعية من تدفؤ وانحلال ، - كما تقدم بيانه تفصيلا - إلا أن الحياة العلمية كانت مزدهرة جدا ، فالعلماء كانوا يقومون بواجباتهم تجاه الأمة ، من تعلم ، وتبصير بأمر الدين خير قسما ، لم تلهم الفتن الداخلية ، ولم يفت في ضدهم ما حصل بالأمة من انحراف عن الدين ، وفساد أخلاقي نفسي تصرفاتهم ومعاملاتهم مع ربهم وأمتهم ، يدل لذلك ما سبق أن ذكرناه من قول ابن جبير في وصف مجتمع بغداد - في ذلك الوقت - إذ يقول " (٠٠٠) إلا فقامهم المحدثين ، وواظهم المذكرين ، لاجرم أن لهم في طريقة الوعظ والتذكير ، ومداومة التنبيه والتبصير ، والمباشرة على الإنذار المخوف والتحذير ، مقامات تستنزل لهم من رحمة الله تعالى ، ما يحط كثيرون من أوزارهم . إلى أن قال "

(فلا يكاد يخلو يوم من أيام جمعياتهم من واعظ يتكلم فيه ، فالعوفق فهم لا يزال في مجلس ذكر ، أيامه كلها ، لهم في ذلك طريقة مباركة ملتزمة) (١)

ولم يكن النشاط العلمي قاصرا على كلمة وعظ تقال في يوم الجمعة - مثلا - يكفي بل كانت هناك مجالس للعلم خاصة في أيام مخصوصة ، ولعلماء مخصوصين ، يحدثنا عن تلك المجالس الرحالة (ابن جبير) في رحلته إلى بغداد إذ يقول *

(فأول من شاهدنا مجالسه منهم ، الشيخ الامام رضي الدين القزويني
رئيس الشافعية ، وفقه المدرسة النظامية ، والشارح بالتحقيق في الملل
الأصولية ، حضرنا مجلسه بالمدرسة المذكورة ، اثر صلاة العصر من يوم الجمعة
الخامس لفرسنة ٨٠٠ هـ .

وشاهدنا له فيها مجلسا ثانيا اثر صلاة العصر من يوم الجمعة الثاني عشر من
الشهر المذكور ، ثم شاهدنا صبيحة يوم السبت بعده الشيخ الفقيه . جمال الدين
أبي الفضائل ابن علي الجوزي ، بازاء داره على الشط بالجانب الشرقي ، وهو
يجلس به كل يوم سبت . ثم شاهدنا مجلسا ثانيا بكرة يوم الخميس بهاب بسدر
في ساحة قصور الخليفة ، وخص بالوصول اليه والتكلم فيه لسمعته الخليفة
ووالده وفتح الباب للعائلة فيدخلون الى ذلك الموضع وجلسه
بهذا الموضع كل يوم خميس . وشاهدنا بعد ذلك مجالس لمواه من وعاظ بغداد ،
من نستغرب شأنه بالاضافة الى ما عهدناه من متكلمي الغيوب (١) .

هذا وما ذكره ابن جبير من تعداد مجالس العلم تلك ، لم تكن الا امتدادا للدور
الكبير الذي كان يقوم به المسجد ، منذ العصر الأول للإسلام ، إذ كان المسجد ،
بالاضافة الى أنه مكان العبادة ، فهو أيضا يؤدي دور المدرسة ، والكلية ،
والقيادة العسكرية ، والمجلس الاستشاري لسياسة الأمة في جميع نواحيها ،
كما كانت تستقبل فيه الوفود ، ولكن الأمور أخذت تتغير ، وتأخذ شكلا آخر مع
مرور الزمن ، وكثرة السكان ، وتغير وجهات النظر نحو الحياة ومطالبها ، فلم
يعمد إلا امر قاصرا على مجالس علم يحقدها الشيخ مع تلاميذه ، وان كانت لا تزال
محافظا على طابعها حتى في العصر الحاضر . بل أخذت الأمور تتخذ شكل التخصص
والتنظيم ، من ناحية تمييز أماكن خاصة للدراسة سوى المسجد ، وكذلك تمييز أساتذة
ومدرسين ، ومعيدين وما الى ذلك .

(١) رحلة ابن جبير ص ١٩٥ - ٢٠٠

وفي مصر ابن الجوزي يذكر ابن جبير " (أنه يوجد في بغداد نحو ثلاثين مدرسة، وهي كلها بالشرقية ، وما منها مدرسة الا وهي يقصر القصر البديع عنها (١) ، وأعظمها وأشهرها (المدرسة النظامية) وهي التي بناها نظام الملك ، ولهذه المدارس أوقاف عظيمة وعقارات محبسة تنصير الى الفقهاء المدرسين ، ويجرون بها على الطلبة ما يقوم بهم) (٢) .

وابن الجوزي الذي نحن بصدده دراسة ، يذكر أنه سلمت اليه المدرسة (٣) التي كانت دارا لنظام الدين أبي نصر بن جبير ، وكانت قد أوقفت على أصحاب احمد رحمه الله تعالى . (٤) .

كما يذكر — أيضا — أنه سمع الحديث على الشيخ احمد بن منصور بن احمد أبو نصر في رباط بهروز الخادم ، وكان شيخ الرباط (٥) .

وقد كان الرباط المقابل لجامع المنصور ينتسب للشيخ علي بن محمود الزوزني (٦) ، وبني نور الدين محمود زنكي مدرسة ودارا للحديث بدمشق ، وهو أول من بنى دارا للحديث ، وقد تولى شيختها الحافظ الكبير ابن عساكر الدمشقي الشافعي امام أهل الحديث في زمانه . (٧) .

هذا ويبدو أن ازدهار الحركة العلمية هذه ، لم تكن وليدة عصر ابن الجوزي ، بل لعلها ثمرة من ثمرات تلك النهضة العلمية الكبرى ، التي سبقت عصر ابن الجوزي بقرون ، وقد ظهرت واضحة وبشكل منظم في القرن الخامس الهجري ، حيث قام نظام الملك بجهد كبير لفتح المدارس ، وتعيين الأساتذة ، والمعيدين ، وترتيب النفقات لأساتذتها وطلابها .

(١) كذا العبارة . ولعل الصواب " يقصر الوصف البديع عنها . الا أن مراد (بالقصر)

هنا قصر الخلافة وأنه دون تلك المدارس في جودة البناء ورونقه .

(٢) حلة ابن جبير ص ٢٠٥

(٣) أما المدرسة الجوزية بدمشق والتي كان يعمل فيها والد الملامة شمس الدين محمد ابن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية فيما لها فهي تنتسب الى محي الدين يوسف ابن عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ، وهو أصغر أولاده . أنظر ترجمته في ابن كثير — البداية والنهاية ١٣/٣٠ مطبعة السمادة .

(٤) ابن الجوزي ، المنتظم ١٠/٢٥٢ (٥) المصدر السابق ١٠/١١٠-١٠٠

(٦) المرجع السابق ٨/٢١٤ (٧) النعمي — المدارس في تاريخ

المدارس ١٠/١١٠-١٠٠ مطبعة الترقى بدمشق ١٣٦٧ هـ ، ١٩٤٨ م

والمدرسة النظامية في بغداد ، أعظم تلك المدارس ، وأشهرها ، — كما سبق بيانه — وقد يدعى بمحارتها سنة ٤٥٧ هـ ، وفي شهر ذي القعدة من سنة ٤٥٦ هـ تمسست محارتها ، وتقرر التدريس بها للشيخ أبي اسحاق الشيرازي . (١)

وبنى نظام الملك — أيضا — مدرسة بنيسابور ، تسمى (النظامية) درس بها امام الحرمين وفي صفر من سنة ٤٥٦ هـ وصل الى بغداد شرف الملك أبو سعد المستوفي وبني على مشهد أبي حنيفة رضي الله عنه مدرسة لأصحابه . (٢)

ولسنا بصدد تعداد المدارس التي انتشرت بعد ذلك في أنحاء البلاد الاسلامية ، وذكر أسماء مؤسسيها ، فليس ذلك من أهدافنا في هذا البحث ، وإنما نهدف فقط الى بيان الحالة العلمية في عصر ابن الجوزي ، هل كانت مزدهرة ، والعلماء يقومون بواجبهم ؟ أو الأسير بالعكس ، لم يكن هناك نشاط علمي ، وبكفي ما ذكرناه لبيان أن الحالة العلمية في عصر ابن الجوزي كانت متقدمة ، والمدارس متوفرة ، والعلماء يقومون بالتدريس في مختلف العلوم والفنون ، غير أن العلماء يختلفون في بيان مسس هو المؤسس الأول للمدارس في الاسلام . ٢٠ .

فابن خلكان يقول " (أن أول من بنى المدارس في الاسلام هو الوزير نظام الملك ، الذي أسس المدرسة النظامية في بغداد ، ثم اقتدى الناس به في بناء المدارس) .

الا أن هذا القول لم يكن مقبولا عند بعض العلماء ، فالحافظ الذهبي ينقل عنه السيوطي أنه ينكر على من زعم أن نظام الملك أول من بنى المدارس .

ويؤيد قوله هذا بذكر عدة مدارس أنشئت قبل نظام الملك ، ويقول " (قد كانت المدرسة البيهقيية بنيسابور قبل أن يولد نظام الملك ، والمدرسة السعيدية بنيسابور — أيضا — بناها الأمير نصر بن بكتكين أخو السلطان محمود ، لما كان واليا بنيسابور ، ومدرسة ثالثة بنيسابور ، بناها أبو سعد اسماعيل بن علي بن المشسني الاسترأبادي ، الصوفي الواعظ شيخ الخطيب ، ومدرسة رابعة بنيسابور — أيضا — بنيت للأستاذ أبي اسحاق الاسفرائيني ، قال الحاكم في ترجمة أبي اسحاق " لم يكن بنيسابور مدرسة قبلها مثلها ، وهذا صريح في أنه بنى قبلها غيرها) . (٣)

(١) ابن الأثير ج ١ / ١٠ / ٤٦ — ١٥٥

(٢) المرجع السابق ١٠ / ٥٤

(٣) السيوطي " حسن المحاضرة ٢ / ١٤١ .

ولكن هذا الخاف بين (ابن خلكان) و (الذهبي) لم يستمر دون توفيق بينهما ، فقد حاول القاضي تاج الدين السبكي التوفيق بين الرأيين ، فقد نقل السيوطي عنه قوله " (قد أدركت فكري وطلب على ظني أن نظام الملك أول من رتب فيها المعاليم للطلبة ، فانه لم يصح لي ، هل كان للمدارس قبله معاليم أولا ؟ والظاهر أنه لم يكن لها معاليم) " (١) .

وقد يكون هذا التوفيق مقبولا ومرضيا ، لو سلم من الاعتراض السوارد عليه بشأن تقييد الأولوية بترتيب المعاليم للطلبة والاساتذة ، فالأستاذ الدكتور أحمد شلبي لا يرتضي قول السبكي " (بأن نظام الملك أول من قدر المعاليم للطلبة) ، ويرى أن قول ابن خلكان صريح في أن نظام الملك أول من أنشأ المدارس لأول من قدر المعاليم ، ويذكر الدكتور شلبي " أن المعز باللة الفاطمي سبق نظام الملك بقرن تقريبا في تقدير هذه المعاليم للطلبة " (٢) والمعز باللة الفاطمي سبق نظام الملك في تقدير المعاليم في مصر بينما تقدير المعاليم سبق نظام الملك - أيضا - في بغداد نفسها في القرن الثالث اذ حكى " أن الخليفة (المعتضد بالله العباسي) (٣) لما بنى قصره ببغداد استزاد فسي الذرع ، فسئل من ذلك فذكر " أنه يريد له بها دورا ، مساكن ، ومقاصر يرتب في كل موضع رؤساء كل صناعة ومذهب من مذاهب العلوم النظرية ، والمعلّمة ، ويجري عليهم الأرزاق السنية ، ليقتصد كل من اختار علما أو صناعة ، رئيسا فإخذ منه " (٤) .

اذن فما هو المخرج من المشكلة الحقيقية التي تدور آراء الملما حولها وهي " هل كان نظام الملك أول من أنشأ المدارس أولا ؟ ان ليست المشكلة في تقدير المعاليم كما سبق الكلام في ذلك .

(١) السيوطي " حسن المحاضرة ٢ / ١٤١

(٢) د . أحمد شلبي " تاريخ التربية الاسلامية ٣٥٨ . الطبعة الثالثة ، ١٩٦٦ م

(٣) تولى المعتضد بالله الخلافة سنة ٢٧٩ هـ . البداية ١١ / ٦٥ ، والكامل ٤٥٦ / ٧

(٤) السيوطي " حسن تلمحاضرة ٢ / ١٤٢

ونعود الى الدكتور (شلي) ليجيب على هذا السؤال فيقول " (الجواب ضدى بالايجاب اذا أريد المعنى الفنى الدقيق لهذا التمييز ، وأما ما يطلق عليه كلمة مدارس ما ظهر قبل نظام الملك فجهل محدود ضحل ، لم يمتد طويلا ، ولم يكن قوى الأثر في الحياة الاسلامية ، ... فالذى ينسب الى نظام الملك هو هذه النهضة التعليمية التى لم تتوقف قسط ... وهذا النظام الذى وضع لتعلم المسلمين في جميع البقاع ، ... وهذه الشبكة من المدارس التى انتشرت في القرى ... والمدن ، ولا يستطيع انسان أن يدعي أنه يجارى نظام الملك في هذا المجال) . (١)

ولعل هذا الرأي هو الصواب ، والموافق للحقيقة ، لاسيما اذا علمنا أن نظام الأستاذ والمعهد قد أخذ بعين الاعتبار ، وأصبح سارى الفعل في المدارس النظامية ، إذ يذكر ابن الأثير " أن أبا الحسن علي بن علي بن سعادة الفارقي الفقيه الشافعي ، ببغداد ، بقي مدة طويلة معهدا بالنظامية (٢) .

كما كان أبو الفتح بن أبي الحسن الأشتري الفقيه ، يشتغل معهدا بالنظامية^{معه} (٣) هذا ولما كان الهدف من هذه الدراسة هو معرفة ما اذا كان هناك عامل مؤثر في اتجاه ابن الجوزي من الناحية العلمية ، فاننا نرى أن الحالة العلمية في هذا العصر ، ونشاطها المستمر كان لها أثر كبير في ازكاء الروح العلمية عند ابن الجوزي ، كما أن سيادة المذهب السني عند الخلفاء والسلطانين في هذا العصر كان له أثر واضح في اتجاه ابن الجوزي هذا الاتجاه ، وهذا انحرافه الى ما سواه كما سيمين ذلك في موضعه ان شاء الله .

(١) احمد شلي " تاريخ التربية الاسلامية ٣٥٨

(٢) ابن الأثير " الكامل ١٢ / ٢٤٣

(٣) المقدسي " الروضتين ١٣ / ١ ، مطبعة وادي النيل سنة ١٢٨٧ هـ

((الفصل الثاني))

(حياة ابن الجوزي)

أولا "

- ا " نسبه
- ب " لقبه
- ج " مولده
- د " وفاته

ثانيا "

نشأته العلمية

ثالثا "

مناخه الذين تلقى عليهم العلم ، ونبذة قصيرة
من أشهرهم .

رابعا "

مؤلفات ابن الجوزي .

أولا "

أ - نسبه

هو الامام جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي
ابن محمد بن علي بن عبيد الله بن عبد الله بن محمد بن
أحمد بن محمد بن جعفر الجوزي بن عبد الله .
ويصل المؤرخون نسبه الى محمد بن أبي بكر
الصديق رضي الله عنه . (١) ويقول المؤرخون
" انه كان يسمى قبل ذلك (المبارك) فسماه شيخه
ابن ناصر (عبد الرحمن) قال ابن القطيبي " (وحكي
لي انه كان يسمى (المبارك) الى سنة عشرين وخمسائة
قال " وسعاني وأخواي شيخنا ابن ناصر " عبد الله ،
وعبد الرحمن ، وعبد الرزاق ، وانما كنا نعرف بالكنى . (٢)

ب - لقبه

وقد لقب أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (بالجسوزي)
نسبة الى لقب جده (جعفر بن عبد الله) ، فهو السدي
لقب بالجوزي ، ثم توارث بنوه هذا اللقب ، واشتهر به
أبو الفرج ، وعرف به .
وقد اختلف في هذه النسبة على عدة أقوال "

١ - قال المنذري وغيره " هو نسبة الى موضع يقال له "

(فرضة الجوزي) (٣)

٢ - وذكر الذهبي " أن جدهم عرف بالجوزي نسبة لشجرة
جوز كانت في داره بواسط ، ولم يكن بواسط جوزة سواها
(٤)

(١) أبو العظفر " مرآة الزمان ٤٨١/٨ ، ابن كثير " البداية والنهاية ٢٨/١٣
ابن خلكان " وفیات الأعيان ٣٢١/٢ ، وابن رجب " ذيل الطبقات ٣٩٩/١ ،
مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٢ هـ ، ١٩٥٢ م

(٢) ابن رجب " ذيل الطبقات ٤٠٠/١

(٣) الخوانساري " رياض الجنات ٤١٠/٣ الطبعة الثانية ، وابن رجب " ذيل
الطبقات ٤٠٠/١

(٤) الذهبي " تذكرة الحفاظ ١٣٤٢/٤ الطبعة الثالثة .

٣ - وقال أبو العظفر (سبط ابن الجوزي) " وجعفر الجوزي ، منسوب الى فرضة من فرض

البصرة يقال لها " جوزة " (١)

٤ - ونقل صاحب شذرات الذهب من ابن الجوزي نفسه ، بأنه منسوب الى محلة بالبصرة

تسمى محلة الجسوز (٢)

وبعد هذه النبهة عن نسبه ولقبه ، وما دار حول هذه النسبة (الجوزي) من

الخلاف ، فنكلم على تاريخ مولده الذي لا يخلو هو - كذلك - من خلاف كبير

بين العلماء ، حول تحديد السنة التي ولد فيها ، ولعل السبب في عدم معرفة

تاريخ الميلاد بالضبط هو عدم عناية الشعوب القديمة بكتابة شهادات الميلاد وتدوين

تاريخ المولود حين ولادته ، سواء أكانوا أغنياء أو فقراء ، وكان منهم طائفة (ابن الجوزي) .

٥ - مولده لم يصل العلماء الى معرفة تاريخ ولادة ابن الجوزي على التحديد ،

وكل بحث مهما بلغ لن يؤدي الى نتيجة مؤكدة ، لاسيما وأن ابن

الجوزي نفسه لا يعرف السنة التي ولد فيها ، فقد ذكر أبو العظفر

(سبط ابن الجوزي) أن ابن الديلمي سأله عن مولده فحرمه ، وفي كليها

يقول " ما أحققه ، ولكن يكون تقريبا في سنة ٥١٠ هـ (٣)

فلم يكن فرحا بعد هذا أن يقول ابن خلكان عند ذكر ولادة ابن

الجوزي " وكانت ولادته بطريق التقريب سنة ثمان ، وقبل عشر وخمسمائة (٤)

وبهذا التاريخ (سنة ٥١٠) قال ابن الاثير ، وابن كثير وغيرهما (٥)

غير أن هذا التاريخ لم يكن الا تقريبا . إذ ذكر ابن رجب أنه وجد

بخط ابن الجوزي أنه قال " (لا أحقق مولدي ، غير أنه مات والدي في

سنة أربع عشرة وقالت الوالدة " كان لك من العمر ثلاث سنين) .

(١) أبو العظفر " مرآة الزمان ٨ / ٤٨١ الطبعة الاولى سنة ١٣٧٠ هـ ،

١٩٥١ م

(٢) ابن العماد الحنبلي " شذرات الذهب ٤ / ٢٣٠

(٣) أبو العظفر " مرآة الزمان ٨ / ٤٨٢ .

(٤) وفيه الأعيان ٢ / ٣٢٢

(٥) الكامل ١٢ / ١٧١ ، والبداية ١٣ / ٢٨

قال ابن رجب " (فملى هذا يكون مولده سنة إحدى عشرة أو اثنتى عشرة) .
وقال ابن القطامي " سأله (أى ابن الجوزى) عن مولده فقال " (ما أحق الوقت
الا أننى أعلم أنى احتلمت فى سنة وفاة شيخنا ابن (الزاغوني) وكانت وفاة ابن
الزاغوني سنة ٥٢٧ هـ قال ابن رجب " وهذا يؤذن أن مولده بعد المشـرة .
وقال ابن رجب " (ووجد بخط تصنيف فى الوعظ ذكر " أنه صف سنة ثمان وعشرين
وخمسائة ، وقال " ولي من العمر سبع عشرة سنة) (١)

ومن مـرض هذه الأقوال السابقة ، يمكننا ان نستنتج أن هناك أربعة أقوال " —

الأول " قول ابن الجوزى " أنه ولد سنة ٥١٠ تقريباً .

الثاني " قول والده " أن والده مات سنة ٥١٤ هـ وله من العمر ثلاثين فيكون
مولده سنة ٥١١ هـ تقريباً .

الثالث " القول الثاني لابن الجوزى الذى ذكره ابن رجب ، أنه احتلم سنة وفاته
ابن الزاغوني سنة ٥٢٧ هـ ، فيكون مولده سنة ٥١٢ هـ

الرابع " قول ابن الجوزى " أنه صف كتاب الوعظ ٥٢٨ هـ وله من العمر سبع عشرة سنة
فيكون مولده سنة ٥١١ هـ

د بناء على ما تقدم يمكننا ان نقول " ان ولادة ابن الجوزى تنحصر فيما بين سنتي
٥١٠ ، ٥١٢ هـ

أما مكان مولده ، فكان فى بغداد بدرب حبيب . (٢)

د — وفاته — وأما وفاته فلم يختلف العلماء فى تاريخها .

" حول ابن كثير " وكانت وفاته ليلة الجمعة بين المشائين ، الثاني
عشر من رمضان من سنة ٥٩٧ هـ وله من العمر سبع وثمانون سنة ،
وحملت جنازته على رؤوس الناس وكان الجمع كثيراً جداً ، ودفن بهاب
حرب عند أبيه ، بالقرب من الامام أحمد ، وكان يوماً مشهوداً ، حتى
قيل انه أفطر جماعة من الناس من كثرة الزحام ، وشدة الحر . (٣)

(١) ذيل طبقات الحنابلة ٤٠٠/١ (٢) المرجع السابق ومراآا الزمان

(٣) البداية والنهاية ١٣ / ٢٩ — ٣٠ مطبعة السمادة ٤٨١ / ٨

ثانياً " نشأته العلمية "

١ -

نشأ ابن الجوزي يتيماً ، فقد توفي والده سنة أربع عشرة وخمسة مائة ، وله من العمر ثلاث سنين ، وانصرف عنه والده بعد وفاة أبيه ، وكانت له مئة صالحة ، قامت على تربيته ورعايته ، فلما ترمع حلقه السي مسجد أبي الفضل ابن ناصر الذي قال عنه ابن الجوزي (هو الذي تولى تصحيحي الحديث ، فسمعت سند الامام احمد بن حنبل بقراءته ، وفهره من الكتب الكبار والأجزاء المصالي على الأشياخ ، وكان يثبت لي ما أسمع) (١) .

ونقل ابن رجب عن ابن الجوزي أنه قال في أول مشيخته " (حلقني شيخنا ابن ناصر الى الأشياخ في الصغر وأسمعني المصالي ، وأثبت سماعاتي كلها بخطه ، وأخذ لي إجازات منهم ، فلما فهمت الطلب كنت لازم من الشيخ أعلمهم ، وأوثر من أرباب النقل أنهمهم ، فكانت همي تجويد القدر لا تكثير العدد ، ولما رأيت من أصحابي من يؤثر الاطلاع على كبار مشايخي ، ذكرت من كل واحد منهم حديثاً) .

قال ابن رجب " ثم ذكر في هذه المشيخة له سبعة وثمانين شيخاً (٢) .

وقال ابو العظفر (سبط ابن الجوزي) " (وقرأ القرآن وتفق على أبي بكر الدينوري الحنبلي وابن الفراء ، وسمع الحديث الكثير ، وقد ذكر من مشايخه في المشيخة ثماناً وثمانين شيخاً ، وعنى بأمره شيخه ابن الزاغونسي ، وعلمه الواعظ واشتغل بفنون العلم ، وأخذ اللغزة من أبي منصور الجواليقي ، وكان - ابن الجوزي - يختتم القرآن في كل سبعة أيام ولا يخرج من تحتها

(١) ابن الجوزي " المتتظم " ١٠ / ١٦٣ . حوادث سنة ٥٥٠ هـ

(٢) ذيل طبقات الحنابلة ١ / ١٠٤

الا الى الجامع للجمعة والمجلس، وما مازح أحدا ولا لص مع صبي ولا أكل من جهة حتى يمتحن حلها، وما زال على ذلك الأسلوب حتى توفاه الله تعالى (١)
(وحضر مجالسه الخلفاء، والوزراء، والعلماء، والأعيان، والفقهاء، ومن سائر صنوف بنى آدم ما كان يجتمع في مجلس ومظلة عشرة آلاف، وربما اجتمع فيه مائة ألف أو يزيدون، وأوقع الله له في القلوب القبول والبهجة، وكان زاهدا في الدنيا، متقللا منها) (٢)

وقال أبو المظفر (سبط ابن الجوزي) " (وسمعت يقول على المنبر في آخر مسمره " (وكتب بأصمعي هاتين ألفي مجلدة، وثاب على يدى مائة ألف، وأسلم على يدى ألف يهودى ونصراني) (٣)

وقد كان ابن الجوزي - رحمه الله - يتمتع بهمة عالية في طلب العلم مما جعله يتحمل الشدائد التي كانت تصادفه في طريقه، وخير من يحدثنا من ذلك هو ابن الجوزي نفسه حيث يقول " (ولقد كنت في حلاوة طلب العلم ألقى من الشدائد ما هو عندى أحلى من العسل، لأجل ما أطلب وأرجو، كنت في زمن الصبا أخذ معي أرفقة يابسة، فأخرج في طلب الحديث، وأتعد على نهر عيسى، فلا أقدر على كلبها الا عند الماء، فكلما أكلت لقمة شربت عليها، وعين همتى لا ترى الا لذة تحصيل العلم (٤)

ولعل هذه الحالة البائسة - التي وصفها لنا ابن الجوزي - والصحاب الستى كانت تواجهه - بالرغم من أن والده كان موسرا - كانت تنهضة لفقداء والده، في الصغر، والذي صار ماله من بعده الى الأوصياء يبدونه كيف شاءوا !!
يقول ابن الجوزي مخاطب ولده " (واعلم يا بني أن أبي كان موسرا، وخلف لسي ألوفا من المال، فلما بلغت دفعوا ألى مشرين دينارا ودارين، وقالوا " هذه هي التركة كلها !! فأخذت الدنانير، واشترت بها كتباً من كتب العلم، وبمست الدارين وأنفقت ثمنها في طلب العلم ولم يبق لي شيء من المال (٥).

(١) مرآة الزمان ٨ / ٤٨١ .

(٢) أبو المظفر " مرآة الزمان ٨ / ٤٨٢ . وابن كثير " البداية والنهاية ١٣ / ٢١٦ .

(٣) أبو المظفر " = = ٨ / ٤٨٢ .

(٤) ابن الجوزي " صيد الخاطر فصل ١٦٢ .

(٥) ابن الجوزي " لفظة الكبد ص ١٢ من " الخولي " ابن الجوزي الواعظ ص ٦٤ .

ومع ذلك فان نفاذ المال وقتله لم يضعف همة ابن الجوزي ، ولم يغتسل
في غصده بل واصل السير فيما دعت اليه همة الوثابة نحو طلب العلم ،
بنفس مطمئنة كريهة ، لم تذله الفاقة لأحد منها بلغت منزلته ، طالما
أن الذي يطلبه هو غالبا ورنه يح ، يرفع صاحبه ويعلي مكانه .
يقول ابن الجوزي في هذا الصدد ، مخاطبا ولده في أحد مؤلفاته "
(وما ذل أبوك في طلب العلم ، ولا خرج يطوف في البلدان كغيره من الرماظ
ولا يمشي رقعة الى أحد يطلب منه شيئا ، وأمره تجري على السداد) (١)

ثالثا " مشايخه "

قضى ابن الجوزي - رحمه الله - حياته في طلب العلم
منذ الصغر مبتدئا بالطلب بحفظ القرآن الكريم وتدرج بمسار
ذلك في سائر العلوم ، مما جعله ينتقل بين كثير من العلماء
لمنهل من علمهم ، ويستفيد من دروسهم ، وقد عفى ابن الجوزي
بشيوخه الذين تتلمذ عليهم ، واهتم بهم الى درجة
أنه أفرد لهم مؤلفا خاصا من مؤلفاته سماه " المشيخة " ،
وقد ذكر من شيوخه في هذا المؤلف " سبعة وثمانين شيخا
سجل لكل شيخ منهم حديثا " . (٢) قال ابن الجوزي في هذا
الصدور " (ولما رأيت من اصحابي من يؤثر الاطلاع على كبار
مشايخي ، ذكرت من كل واحد منهم حديثا) (٣)
ولسنا بصدد تعداد مشايخ ابن الجوزي جميعا وذكر ما قيل
من مناقبهم ولكننا سنذكر في هذا الموضع أمثلة خاصة ، وذلك
بالترجمة لبعض مشايخ ابن الجوزي ، وسأبدأ بذكر أول شيخ
بأشر التدريس لابن الجوزي وهو "

(١) ابن الجوزي " لفتة الكبد ص ١٠ عن الخولي " ابن الجوزي

الواعظ ص ٦٥
(٢) ابن رجب ذي المنيل الطبقات ١ / ٤٠١ بأبو العظفر "

مرآة الزمان ٨ / ٤٨١

(٣) ابن رجب ذيل الطبقات ١ / ٤٠١ .

١- أبو الفضل ابن ناصر *

محمد بن ناصر بن محمد بن علي بن عمر السلمي ، الفارسي
الأصل ، ثم البغدادي ، الأديب اللغوي ، ابن أبي منصور .
ولد سنة ٤٦٧ هـ وتوفي سنة ٥٥٠ هـ (١)
قال ابن الجوزي " (كان كثر الذكر ، سريع الذاكرة ، حافظاً ،
ضابطاً ، متقناً ، ثقة من أهل السنة لا مغل فيه) (٢)
وقال ابن السمعاني في وصف ابن ناصر " (حافظ ثقة ،
دين خير ، متقن مثب ، وله حظ كامل من اللغة ، ومعرفة
تامة في العيون والأسانيد ، كثر الصلاة ، دائم
التلاوة للقرآن الكريم ، مواظب على صلاة الضحى) (٣) .
وقد طالت ملازمة ابن الجوزي للشيخ ابن ناصر ،
واستفاد منه فاعتمدت عظمته .

يقول ابن الجوزي " (وهو الذي تولى تسميعي الحديث
وهو أخذت ما أخذت من علم الحديث ، قرأت عليه
ثلاثين سنة ، ولم استفد من أحد كاستفادتي منه) (٤)
وقد استمر ابن الجوزي في الاستفادة من شيخه " ابن
ناصر ، حتى بعد بلوغه سن الثلاثين من عمره ، فقد
ذكر ابن رجب " أن ابن الجوزي لما صنف كتاب (التلخيص)
وله من العمر ثلاثون سنة عرضه على ابن ناصر فكتب عليه "
(قرأ علي هذا الكتاب جامع الشيخ الإمام المالم
الزاهد أبو الفرج ، فوجدته قد أجاد تصنيفه ، وأحسن
تأليفه وجمعه ، ولم يسبق الي مثل هذا الجمع) فقد
طالع كتباً كثيرة ، وأخذ احسن ما فيها من الهامات واللؤلؤ ،
فنظمه عقداً زان به التصانيف التي تجمعت من التواريخ ،

(١) ذيل الطبقات ٤٠١/١

(٢) المنتظم حوادث سنة ٥٥٠ هـ

(٣) ابن رجب " ذيل الطبقات ٢٢٦/١ - ٢٢٧

(٤) ابن الجوزي " المنتظم حوادث سنة ٥٥٠

ومعرفة الصحابة واسمائهم ، وكناهم وأعمارهم ، وأبان عن فهم وعلم غزير ، مع اختصار يحض على الحفظ والعمل بالملم فتنفع الله بعلمه ، ونفع به ، وبلغه غاية المصير ، لينفع المسلمين ، وينصر السنة وأهلها ، ويدحض البدع وحزبها) .
وقال ابن الجوزي " (ولقد كنت أرد أشياء على شيخنا أبي الفضل ابن ناصر ، فيقبلها مستق) (١)

وقد نقل (ابن رجب) " أن الشيخ ابن ناصر ، كان شاعرا أشعريا ، ثم انتقل إلى مذهب أحمد في الأصول والفروع ، ومات عليه . (٢)
وعلى الرغم من هذا ، ومن ملازمة الشيخ ابن الجوزي له منذ الصغر فإن تأشير ابن ناصر عليه من ناحية الأصول كان سليما ، بالرغم من ادعاء ابن الجوزي متابعة الإمام أحمد ، إذ أنه كتب بالتأويل على ما سيأتي به إن شاء الله تعالى .

٢- (أبو الحسن بن الزاغوني)

على بن عبد الله بن نصر بن السري ، ^(٣) الزاغوني ، البغدادي ، الفقيه المحدث ، الواعظ .
ولد سنة ٤٥٥ هـ ، وتوفي سنة ٥٢٧ هـ (٤) .
وقد تتلمذ عليه ابن الجوزي منذ الصغر — كذلك —
يقول ابن الجوزي في وصف ابن الزاغوني " (كان صالحا خيرا ، وهو أول من لقنى القرآن وأنا طفل) (٥)
وقال ابن الجوزي عنه — أيضا — (كان له نسي كل فن حظ وافر ، وعظم مدة طويلة ، وصحبت زمانا ، فسمعت منه الحديث ، وعلقت عنه من الفقه والوعظ ، وكانت له حلقة بجامع المنصور يناظر فيها يوم الجمعة قبل الصلاة ، ثم يحفظ بعد الصلاة ، ويجلس يوم السبت أيضا) (٦)

وقد كان ابن الزاغوني " (ثقة ، صدوقا ، صحيح السماع ، وكان فقيه الوقت مشهورا بالصالح والديانة والورع والصيانة) (٧)

(١) ابن رجب " ذيل الطبقات ١ / ٤١٥ (٢) المرجع السابق

٢٢٦ / ١ (٣) العلوي " المنهج الأحمد ٢ / ٢٣٨

الطبعة الأولى سنة ١٣٨٣ هـ ، ١٩٦٣ م

(٤) ابن رجب " ذيل الطبقات ١ / ١٨٠

(٥) ابن الجوزي " المنتظم ٩ / ٢٥٢ (٦) ابن الجوزي " المنتظم

حوادث ٥٢٧ هـ (٧) العلوي " المنهج الأحمد ٢ / ٢٣٩

٣- (عبد الوهاب الأنماطي)

عبد الوهاب بن مبارك بن أحمد بن الحسن
الأنماطي ، أبو البركات ، الحافظ . ولد سنة ٤٦٢ هـ
وتوفي سنة ٥٣٨ هـ

تلمذ عليه ابن الجوزي ، وقال في وصفه " (كان
ذا دين ورع ، وكان قد نصب نفسه للحديث
طول النهار ، وسمع الكثير من خلق كثير ، وكتب يده
الكثير ، وكان صحيح السماع ، ثقة ثبتا ، وكنت أقرأ
عليه الحديث وهو يبكي ، فاستفدت ببيكاه أكثر
من استفادتي بروايته ، وكان على طريقة السلف
وانتفعت به عالم أنتفع بغيره) (١)

وقال ابن الجوزي عنه في موضع آخر " (وما عرفنا من
شايخنا أكثر سماعة ، ولا أكثر كتابة للحديث ،
ولا أصبر على الإقراء ، ولا أحسن بشرا ولقاء ، ولا أسرع
دمعة ، ولا أكثر بكاء ، ولقد كنت أقرأ عليه الحديث
في زمن الصبا ولم أذق بعد طعم العلم فكان يبكي
بكاء متصلا ، وكان ذلك البكاء يعمل في قلبي ، وأقول
" ما يبكي هذا هكذا إلا لامر عظيم ، فاستفدت
ببيكاه ما لم استفد بروايته ، وكان مجلسه منزها
عن غيبة الناس ، وكان رضي الله عنه على طريقة
السلف ، وكنا ننتظره من يوم الجمعة لياثي مسن
داره بنهر القلائن إلى جامع المنصور ، فلا ياتي قطرة
باب البصرة ، وإنما يمر على القطرة المتبقية ، فسأله
عن سبب هذا ؟ فقال " كانت تلك دار ابن مسروق
القاضي ، فلما قبض عليه بنيت قطرة ، قال " (عبد الوهاب
الأنماطي) - وحد ثنا أبو محمد التميمي عنه أنه أحل
من يحبر عليها غير أني لا أفعل -)

(١) ابن الجوزي " المنتظم " ١٠ / ١٠٨ حوادث سنة ٥٣٨ هـ
الطبعة الأولى .

قال ابن الجوزي " (وهدته في مرضه وقد يلي وذهب لحمصه ، فقال لي ان اللسه تعالى لا يمتهم في قضاءه) (١)

وقال ابن الجوزي في موضع آخر " (ولقيت مدد الوهاب الأنماطي ، فكان علي قانون السلف لم يسمع في مجلسه فبهت ، ولا كان يطلب أجرا على سماع الحديث ، وكنت اذا قرأت عليه أحاديث الرقائق بكى واتصل بكاءه ، فكان — وأنا صغير السن — يعمل بكاءه في قلبي ويبني قواعد الأدب في نفسي ، وكان علي سمت الشايخ الذين سمعنا أوصافهم في النقيض) (٢)

وقال ابن الجوزي في وصفه ووصف شيخه الجوالقي " (فانتفعت برؤية هذين الرجلين أكثر من انتفاعي بهما ، ففهمت من هذه الحالة أن الدليل بالفصل أرشد من الدليل بالقول) (٣)

٤- (أبو منصور الجوالقي)

مؤيد بن أحمد بن محمد بن الخضر بن الحسن بن محمد الجوالقي ، شيخ أهل اللغة في مصر ، ولد سنة ٤٦٥ هـ ، وقيل ٤٦٦ هـ وتوفي سنة ٥٤٠ هـ (٤)

قال ابن الجوزي في وصفه " (ولقيت الشيخ أبا منصور الجوالقي ، فكان كثير الصمت ، شديد التحري فيما يقول ، متقنا محققا ، وربما سئل عن المسألة الظاهرة السكتي يبادر بجوابها بعض علماء فتوقف فيها حتى يتيقن .

(١) ابن الجوزي " صفة الصفوة ٢٨١/٢ الطبعة الأولى

(٢) ابن الجوزي " صيد الخاطر فصل ١٤

(٣) المرجع السابق فصل ١٤

(٤) ابن رجب " ذيل الطبقات ٢٠٤/١ - ٢٠٦

وكان كثير الصوم والصمت ، فانتفعت برؤية هذين الرجلين أكثر من انتفاعي بغيرهما ،
ففهمت من هذه الحالة أن الدليل بالفعل أرشد من الدليل بالقول • (١)
وابن الجوزي يعنى بالرجلين " هداية لوهاب الأنطاطي ، والجوالقي " كما سبق
بمناه - اللذين أبدى إعجابه بهما ، وشدة تأثره بسماعه منهما •
وكلماته التي وصف فيها هذين الشيخين تدل على مدى ذلك الأثر العظيم الذي
تركه فيه مجالسته لهما ، والاستفادة من علمهما وسلوكهما •

هـ (أبو بكر الدينوري) "

أحمد بن محمد بن أحمد الدينوري الهمداني ، الفقيه
الامام أبو بكر بن أبي الفتح ، برع في الفقه وتقدم نسي
المناظرة على ابننا " جنمه حتى كان أسعد الميهني شيخ
الشافعية يقول "

ما اعترض أبو بكر الدينوري على دليل أحد الاظم فيه ثلعة (٢)
وأبو بكر الدينوري ، أحد شيوخ ابن الجوزي الذين درس
علمهم وتأثر بهم ، إذ كان الشيخ أبو بكر يحث ابن الجوزي
على طلب العلم والسهر في سبيل تحصيله • قال ابن
الجوزي " (حضرت درسه بعد موت شيخنا ابن الزافونسي
نحو من أربع سنين قال " وأنشدني "

تمت أن تسمى فقهها مناظرا بغير منا " والجنون فنون
وليس اكتساب المال دون مشقة تلقونها فالعلم كنهكمون ؟

(١) ابن الجوزي " صيد الخاطر فصل ٩٤

(٢) ابن رجب " ذيل الطبقات ١ / ١١٠ ، والعلمي " المنهج

الأحمد ٢ / ٢٤٥

وقال ابن الجوزي " كان مرق عند ذكر الصالحين يسكي ويقول " للملأه عند
الله قدر ، ففضل الله أن يجعلني منهم . (١)
وقال ابن الجوزي في موضع آخر " كان زاهدا حسن الممش كما ذكر ان أبا الحسن
القزويني قال "

(مير الدينوري قنطرة سبق من بعدها رواه) (٢)
وقد توفي الشيخ أبو بكر الدينوري سنة ٥٢٢ هـ . (٣)

٦- (أبو حكم النهرواني "

أبراهيم بن دينار بن أحمد بن الحسين بن حامد ، من
أبراهيم النهرواني الرزاز ، الفقيه ، الفرضي الزاهد .
ولد سنة ٤٨٠ هـ وتوفي سنة ٥٥٦ هـ .

وكان له مدرسة بناها بهاب الأنج ، وكان يدرس ويقسم
بها ، وفي آخر عمره فوضت إليه المدرسة التي بناها
ابن الشمول بالمأمونية ، ودرس بها ، وقرأ عليه الملسم
خلق كثير ، وانتفعوا به . (٤)

تتلمذ عليه ابن الجوزي ، واستفاد منه ، قال ابن الجوزي
(قرأت عليه القرآن والمذهب والفرائض ، وكان زاهدا عابدا
كثير الصوم يضرب به المثل في الحكم والتواضع ، وكان من
الملأه العاملين بالعلم ، كثير الصيام والتمسك ، شديد
التواضع ، مؤثرا للخمول ، وكان المثل يضرب بحلمه
وتواضعه ، وما رأينا له نظيرا في ذلك) (٥)

وقال ابن القطامي " سمعت ابن الجوزي يقول
(كان الشيخ أبو حكم تالما للقرآن ، يقوم الليل ، ويصوم النهار ،
ويصرف المذهب والمناظرة وله الورع العظيم ، فإذا خاطبوا
فأعطى الأجرة — مثلا — قهراطا أخذ منه بعضه ورد الباقي
وقال " خطاطي لا تساوى أكثر من هذا ، ولا يقبل من أحد شيئا)

(١) ابن الجوزي " المنتظم ٧٣/١٠ ، وابن رجب ذيل الطبقات
١٩٠/١ - ١٩١/١ والعلامي " المنهج الأحمد ٢٤٥/٢
(٢) صفوة الصفوة ٢٧٧/٢ (٣) ابن رجب " ذيل الطبقات
١٩١/١ ، والعلامي " المنهج الأحمد ٢٤٥/٢
(٤) ابن رجب " ذيل الطبقات ٢٣٩/٢ (٥) المرجع السابق ٢٣٩/١
(٦) ابن رجب " ذيل الطبقات ٢٣٩/١

ولم يكن مؤلاً* المذكورون كل مشايخ ابن الجوزي ، بل إنه قد ذكر أن مشايخه قد بلغوا سبعة وثمانين شيخاً ، كما قال ذلك في كتابه المشيخة ، وسأذكر زيادة على من تقدم الكلام عنهم ، مؤلاً* الشيخ ، ولكن مع الاختصار "

١- عبدالله بن علي بن أحمد بن عبدالله البغدادي القرقي والذي ولد سنة ٤٦٤ هـ ذكر ابن رجب أن ابن الجوزي سمع منه الحديث . (١)

٢- يحيى بن الحسن بن أحمد بن عبدالله بن البناء ، أبو عبدالله ، ولد سنة ٤٥٣ هـ وتوفي سنة ٥٣١ هـ .

ذكر ابن رجب " أن ابن الجوزي من روى عنه (٢) (أى تتلمذ عليه) .

٣- هبة الله بن أحمد بن عمر الحريري ، ولد سنة ٤٣٥ هـ وتوفي سنة ٥٣١ هـ وهو الذي علم ابن الجوزي القراءات ، وأقرأ القرآن ، كما سمع عليه الحديث ، قال عنه في المنتظم " (قرأ القرآن بالرواية ، وحدث وأقرأ) .
كما وصفه بقوله " (كان صحيح السماع ، قوى السدين ، ثبتاً ، كثير الذكر ، دائم التلاوة ، قرأت عليه ، وكانت قوته حسنة) (٣)

٤- محمد بن عبد الملك بن الحسين بن إبراهيم بن خورون ، ولد سنة ٤٤٤ هـ وتوفي سنة ٥٣٩ هـ .

(٤) - قال ابن الجوزي " سمعت عليه الكثير ، وقرأت عليه ، وكان ثقة ، وكان سماعه صحيحاً . مؤلاً* الشيخ - ومن سبق الكلام عنهم تفصيلاً - نماذج فقط من تتلمذ عليهم منهم الشيخ ابن الجوزي ، وقد ذكر وصفا عاما للشيخ الذين اتقى بهم ، سواء من استفاد منهم أو لم يستفد وذلك حيث يقول فيهم " (لقيت مشايخ ، أحوالهم مختلفة ، يتفاوتون في مقاديرهم في العلم ، وكان أنفعهم لي في صحبته ، العامل منهم بعلمه ، وإن كان غيره أعلم منه . ولقيت جماعة من علماء الحديث ، يحفظون ويعرفون ولكنهم كانوا يتسامحون ، فمبسة يخرجونها مخرج جرح وتمديد ، يأخذون على قراءة الحديث أجرة ، وسرعون بالجواب لئلا يتكسر الجاه وإن وقع الخطأ .

(١) ابن رجب " ذيل الطبقات ٢٠٩ / ١ (٢) المرجع السابق ١ / ١٨٩

(٣) ابن الجوزي " المنتظم ١٠ / ٢١ (٤) ابن الجوزي " المنتظم حوادث سنة ٥٣٩

ولقيت مدد الوهاب الأنطاقي ، فكان على قانون السلف ، لم يسمع في مجلسه غيبسة ، ولا كان يطلب أجرا على سماع الحديث ، وكنت اذا اقرأت عليه أحاديث الرقائق بكى بواتصل بكأؤه . فكان - وأنا صغير السن حينئذ - يعمل بكأؤه في قلبي ، وبينى قواعد الأدب في نفسي ، وكان على سمت المشايخ الذين سمعنا أوصافهم في النقل . ولقيت الشيخ أبا منصور الجواليقي ، فكان كثير الصمت ، شديد التحري فيما يقول ، متقنا ، محققا ، وربما سئل المسألة الظاهرة التي يبادر بجوابها بمضغلعاء ، فيتوقف فيها حتى يتيقن .

وكان كثير الصوم والصمت ، ^{تتبع} برؤية هذين الرجلين أكثر من انتقامي بهما ، ففهمت من هذه الحالة أن الدليل بالفعل أرشد من الدليل بالقول . ورأيت مشايخ ، كانت لهم خلوات في انبساط ومزاج ، فروحوا عن القلوب ، ووسدوا تفرطهم ما جمعوا من العلم ، فقل الانتفاع بهم في حياتهم ، ونسوا بعد ما تهبسهم ، فلا يكاد أحد أن يلتفت الى مصنفاتهم (١)

وبعد ما ذكرناه من التعريف ببعض مشايخ ابن الجوزي الذين تتلمذ عليهم ، وأخذ عنهم ، ننتقل الى الكلام من بعض مؤلفاته فنقول "

رابعا " مؤلفات ابن الجوزي "

لقد كثر الكلام حول مؤلفات ابن الجوزي وعددها ، فابن الجوزي نفسه يذكر أن مؤلفاته بلغت مائتين وخمسين مصنفا . يقول ابن الجوزي " (وقد بلغت مصنفاتي مائتين وخمسين مصنفا) (٢) في حين أن سبطه أبا العظفر قال " (وسمعت يقول في آخر عمره " كتبت بأصبعي هاتين ألفي مجلد) (٣)

(١) ابن الجوزي " صد الخاطر فصل ١٤

(٢) ابن الجوزي " دفع شبهة التشبيه ص ٥ مطبعة

الترقي ١٣٤٥ هـ ومقدمة الهزلي الأشهب لابن

الجوزي " مخطوط ، معهد المخطوطات جامعة الدول العربية بالبحر

(٣) أبو العظفر " مرآة الزمان ٤٨٢ / ٨ طبعة حيدر آباد .

وأرى أنه لا تمارض بين القولين ، إذ أن المصنف أم من المجلد ، كما ذكر ابن رجب " أن الامام أبا المباسين تميمية قال " (كان الشيخ أبو الفرج مفتيا كثيرا التصديف والتأليف ، وله مصنفات في أمور كثيرة حتى عدتها فرأيتها أكثر من ألف مصنف ورأيت بعد ذلك له عالم أزه) (١)

ولعل ابن تميمية يريد ألف مجلد حتى لا يكون هناك أي تعارض بين الأقوال ، لا سيما أن القولين الأولين كلاهما لابن الجوزي نفسه وهو صاحب الشأن في هذا الموضوع ، وفي قوله فصل الخلاف .

هذا وقد قام بعض العلماء بكتابة مؤلفات ابن الجوزي ، وجمعها في مؤلفات خاصة ، ومستقلة من كتب التراجم والتواريخ ، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر " رسالة في التعريف بابن الجوزي وأسماء مؤلفاته ، وذكر ما طبع منها ، والاشارة الى ما يوجد منها في المكتبات العامة ، وقد قام بجمعها الأستاذ (أحمد/شاكر) وتم طبعتها حوالي عام " ١٣٤٥ هـ ، ١٩٢٧ م (٢)

٢- قام الاستاذ " عبد الحميد الملوحي بتأليف كتاب من مؤلفات ابن الجوزي . وسأذكر هنما بعض مؤلفات ابن الجوزي على سبيل المثال لا الحصر ، وسأخص بعض المخطوطات منها بشئ من التفصيل ، لعل ذلك يكون حافزا لبعض المشتغلين بالعلم ، على نشر هذه المؤلفات النافعة فأقول "

أولا " الطبائع "

- ١- الأذكياء .
- ٢- بستان الواعظين ورياض السامعين .
- ٣- دفع شبهة التشبيه والرد على المجسمة ممن ينتحل مذهب الامام احمد رضي الله عنه .
- ٤- ذم الهوى .
- ٥- الروح .

(١) ابن رجب " ذيل الطبقات ١ / ٤١٥

(٢) ابن الجوزي " مقدمة ذم الهوى ص ١٥

- ٦- زاد العبير في علم التفسير .
- ٧- سيرة عمر بن عبد العزيز .
- ٨- صفة الصفوة .
- ٩- صيد الخاطر .
- ١٠- لفظة الكبد الى نصيحة الولد .
- ١١- المدهش في المحاضرات .
- ١٢- المتظلم في تاريخ الملوك والأمم .

ثانياً " المخطوطات "

- ١- (الأبح في الوعظ)
مصحف المخطوطات / جامعة الدول العربية برقم ٢٠ تصوف
- ٢- الانصاف في مسائل الخلاف .
- ٣- (ايقاظ الرسل)
قسم المخطوطات بجامعة الرياض الرقم المام (١٢١٣) ومصحف
المخطوطات جامعة الدول العربية برقم (٥٧)
- ٤- (البازي الأشهب المنقش على مخالف المذهب)
جامعة الدول العربية برقم (٤٤) توحيد .
- ٥- (الفلسفة)
٦- (تبصرة المبتدى وتذكرة المنتهي)
جامعة الرياض الرقم المام (١٥٣٠)
- ٧- (تجريد التوحيد الفريد)
دار الكتب المصرية برقم (١١٧٠) ، جامعة الدول العربية
برقم (٦١)
- ٨- (تحفة الواعظ ونزهة الملا حظ)
جامعة الدول العربية ، برقم (١٣)
- ٩- التحقيق في أحاديث التملوق

مكتبة الرياض السعودية / بالرياض / برقم $\frac{382}{86}$

قال ابن الجوزي " ٠٠٠ وبعد فهذا كتاب نذكر فيه مذهبنا في مسائل الخلاف ، ومذهب المخالف ، ونكشف عن دليل المذهبيين من النقل كشف مناصف ، لا تحيل لنسا ولا علينا فيما نقول ، ولا نجازف ، وسبحمدنا المطلع عليه ان كان منصفاً ٠٠٠ الخ ، وكان السبب في اثارة العزم لتصنيف هذا الكتاب ان جماعة من اخواني وشايعي في القسمة كانوا يسألوني من زمن الصبا جمع احاديث التعلیق ، وبما ناصح منها وما طعن فيه ٠٠٠ الخ أ ٠ هـ من مقدمته .

وقد بدأ الكتاب بكتاب الطهارة ، والكتاب يقع في ٥٠٤ صفحات .

١٠ - (التحقيق في احاديث الخلاف)

دار الكتب المصرية ، برقم (٢٣٩٤٨) (ب)

١١ - (تذكرة الأريب)

١٢ - تيسر الوصول الى جامع الأصول من حديث الرسول (

مكتبة الرياض السعودية برقم $\frac{381}{86}$

وهذا الكتاب كان في الأصل باسم (جامع الأصول من حديث الرسول) وقد ألفه العلامة مجد الدين أبو السامات بن الأثير ، فجمع فيه احاديث الأصول الستة المشهورة : صحيح البخاري ومسلم ، موطأ مالك ، سنن أبي داود ، جامع الترمذي ، سنن النسائي .

وقد اختصره في نحو ربع حجمه القاضي شرف الدين هبة الله بن البارزي ، قاضي حماة في كتاب سماه (تجريد الأصول من حديث الرسول) .

قال ابن الجوزي " وقد نظرت في كل من الجامع وتجريده ، وشاهدت حسن وضع كل منهما وتمهيده ، فرأيت كلا من مؤلفيهما قد رقم اسم الصحابي الراوي للحديث في حاشية الكتاب ، ورمز عليه لمن أخرجه من الستة برموز اختلطت واختبطت على أكثر الكتاب ، فحصل منها التقديم والتأخير ، والنقصان ، والتكرير ، حتى كثرت في ذلك المعناء ، ولم يحصل لأكثر الطلاب به غنا . فمزمت بعد استشارة الله تعالى ، على تيسيره للمتفعين ، وتحبيره للمستعصين ، رغبة في احياء السنة النبوية ٠٠٠ وصدرت كل حديث منه باسم صحابه الذي رواه ، وختتمته بمن أخرجه من الأئمة الستة ٠٠٠ ، وسويت " (تيسر الوصول الى جامع الأصول من حديث الرسول) ٠ ٠ ١ هـ . ملخصاً من المقدمة والكتاب في ٧١٢ صفحة ، وقد انتهى منه كما تبه في عشية يوم الاثنين الحادي عشر من شهر جمادى الأولى سنة ١١٢٥ هـ

غنى

- ١٣- (جامع المسانيد)
١٤- (جفة النظر وجفة الفطر)
١٥- (الحدائق لأهل الحقائق في الموعظة) ٣ أجزاء
دار الكتب المصرية ، برقم (٣٧٧) ،
وجامعة الدول العربية برقم (١٢٦)
١٦- (رسالة في الناسخ والمنسوخ من الحديث)
جامعة الرياض ، الرقم العام (١٤٩٩)
١٧- (شرح مشكل الصحيحين)
دار الكتب المصرية ، برقم (٤٩٣)
١٨- (الملل المتناهية في الأحاديث الواهية)
مكتبة الرياض السعودية ، برقم $\frac{٢٦٠}{٨٦}$

والكتاب نسخة صورة عن الأصل ، وقد ذكر كاتبها أنه فرغ منها في الثامن من شهر
ذي القعدة صبح يوم السبت سنة ١٠٩ هـ
ولعل المراد بهذا التاريخ هو سنة ١١٠٩ هـ

قال ابن الجوزي بعد الحمد والصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم) "
لما كانت الأحاديث تنقسم الى صحيح لا يشك فيه ، وحسن لا بأس به ، وموضوع مقطوع
بكذبه ، ومتزلزل قوى التزلزل .

فأما الصحيح والحسن فقد عرفنا ، وأما الموضوع فاني رأيت كثيرا حتى انهم قد وضعوا
نسخا طويلا ، وأحاديث مدوا فيها النفس لا يخفى وضعها ، وبرودة لفظها ، فـهـي
تنطق بأنها موضوعه ، وأن حاشية العسفي - صلى الله عليه وسلم - منزوعة مسنن
مثلها ، فجمعة الموضوعات المستبشمة في كتاب سميت كتاب " (الموضوعات من الأحاديث
المرفوعات)

وقد جمعت في هذا الكتاب الأحاديث الشديدة التزلزل الكثيرة الملل ، ورتبتهـ
كتبا على نحو ترتيب كتب الفقه ، ليسهل المتأخذ منه على الطالب . ١٠ هـ من المقدمة .

وقد بدأ الكتاب ، بكتاب (التوحيد) ثم كتاب (الايمان)

١٩ — عدة الدلائل في مشهور المسائل (

٢٠ — (غريب الحديث)

جامعة الدول العربية ، برقم (٣٣٥) حديث

٢١ — (كتاب رؤوس القوارير)

مكتبة الرياض السعودية ، برقم $\frac{٥٣٣}{٨٦}$

قال ابن الجوزي

انتخب هذا ، وقد قسمه أربعة أبواب

الباب الأول " في ذكر المختار من الخطب .

الباب الثاني " في تصرف اللغة وموافقة القرآن لها .

الباب الثالث " فيه طرف ، وثقف ، وأسولة .

الباب الرابع " في التعلق بالوعظ .

ولما كان أصل هذا الكتاب بالاضافة الى علوم الوعظ والتحذير ، سميت (برؤوس

القوارير) فان الأطباء يأخذون من كل قارورة فيها شارب شيئاً فيمزجونه ، فيحدثه

دواء لا يحصل من مفرد ، وهذا منتخب منه ١٠ هـ

وقد كتب على الصفحة الأولى تحت العنوان العبارة التالية

هذا كتاب أوله خطب ، وآخره وعظ ، وفي وسطه علوم شتى جليلة نفيسة ، وهو

كتاب عديم النظير ، ماله ثمن ، ولا يعرف قدره الا من طالعه وأمن في مصانيفه .

هذا نقل من خط المصنف ١٠ هـ كذا على الأصل .

ويقع الكتاب في ٦٤ صفحة .

وه نسخة مصورة ضمن مجموعة بقسم المخطوطات بجامعة الرياض بخط / عبد الله

ابن ابراهيم الريمي سنة ١٣٥٥ هـ

٢٢ — (كتاب المنشسور)

جامعة الدول العربية برقم (٤٢٥)

٢٣ — (اللائسي)

جامعة الدول العربية ، برقم (٤٤٦)

- ٢٤ — (اللطائف في اللطائف)
جامعة الدول العربية ، برقم (٤٤٧)
٢٥ — (مجالس ابن الجوزي في التشابه من الآيات القرآنية)
دار الكتب المصرية ، برقم (١٥٢٣)
جامعة الدول العربية ، برقم (٢١٦) تفسير •
٢٦ — (المذهب في المذهب)
٢٧ — (مبروك المذهب)
٢٨ — (مصراع الرسول)
جامعة الرياض • نسخت سنة ١١١٨ هـ بخط أحمد بن محمد •
٢٩ — (المصنف)
٣٠ — (العقل)
جامعة الدول العربية ، برقم (٥٠٥) تصوف •
٣١ — (ملقط الحكايات)
٣٢ — (مناقب عمر بن الخطاب)
دار الكتب المصرية ، برقم (٧١٦٥) (ح)
٣٣ — (المنتخب في التوب)
دار الكتب المصرية ، برقم (٤١٤٤) تصوف •
جامعة الدول العربية ، برقم (٥١٥) تصوف •
٣٤ — (منهاج الوصول الى علم الأصول) •
٣٥ — (نزهة الأمين النواظر)
جامعة الدول العربية ، برقم (٢٦٦) تفسير •
٣٦ — (النطق المفهوم من الصمت المعلوم)
دار الكتب المصرية ، برقم (٢٣٠١٦) (ب)
٣٧ — (نقي النقل)
٣٨ — (نواسخ القرآن)
جامعة الدول العربية ، برقم (٢٨٧) تفسير •
٣٩ — (اليا قوتة في الوعظ)
جامعة الرياض • نسخت سنة ١٢٥٦ هـ بخط عبدالله الريمي • الرقم
العام ١٦٣١
١

« السبب الثاني »

في

((موقف الجوزي من قضية التأويل)) وفي أربعة فصول *

الفصل الأول *
في الحكم والتشابه والتأويل والتفويض، وآراء العلماء في ذلك .

الفصل الثاني *
في الصفات بوجه عام .

الفصل الثالث *
في الصفات الخيرية .

الفصل الرابع *
مقارنة منهج ابن الجوزي بمنهج الإمام أحمد
في الصفات الخيرية .

((الفصل الأول))

((في المحكم والمشابه ، والتأويل ، والتفويض ، وآراء العلماء في ذلك))

للعلماء في المحكم والمشابه ، والتأويل ، أقوال كثيرة ، وآراء مستفوضة ، والأصل في ذلك قوله تعالى من سورة آل عمران " ((هو الذي أنزل عليك الكتاب من آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب)) (١)

وعندما أريد أن أتكم في هذا الفصل من المحكم ، والمشابه ، والتأويل ، والتفويض ، وأذكر آراء العلماء في ذلك ، فانق سأتكم في ذلك بلمجاز ، لأن الاستفاضة في الكلام من هذا الموضوع تحتاج الى رسالة مستقلة . وسأقسم هذا الفصل الى مباحث "

المبحث الأول "

• ورود ألفاظ المحكم والمشابه في القرآن الكريم .

المبحث الثاني "

• معنى المحكم والمشابه في اللغة ، ثم في اصطلاح العلماء .

المبحث الثالث "

• مناقشة الآراء وبيان الراجح منها .

المبحث الرابع "

• في (التأويل) وتناول الكلام فيه ما يأتي "

أولا "

• ورود لفظ (التأويل) في القرآن الكريم ، والمعنى المراد به .

ثانها "

• معنى (التأويل) في اللغة ، وفي اصطلاح العلماء .

المبحث الخامس "

• في (التفويض) وبيان المقصود به عند العلماء .

((البحث الأول))

((ورود ألفاظ المحكم والتشابه في القرآن الكريم))

لقد وردت ألفاظ المحكم والتشابه في القرآن الكريم في أكثر من آية ، وبمعنى مختلف ، ذلك أن الله تعالى قد وصف القرآن مرة بأنه كله محكم ، ووصفه بالمشابهة مرة أخرى . ووردت آية سورة آل عمران - العتق منه - في تشابه أن القرآن منه ما هو محكم ، ومنه ما هو مشابه ، والهكم بيان ذلك .

أولاً " (القرآن كله محكم) "

لقد ورد وصف القرآن الكريم بأنه كله محكم في آيتين من كتاب الله تعالى ، الأولى في سورة يونس وهي قوله تعالى " (

السر تلك آيات الكتاب المحكم) (١)

فإن لفظ (المحكم) هنا بمعنى المحكم ، كما يقول ابن منظور

... فهو فمعل " بمعنى " نفعل " (٢)

والآية الثانية التي وصفت القرآن الكريم بأنه كله محكم هي

قوله تعالى من سورة هود " (

السر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير) (٣)

فما هو المقصود بوصف القرآن الكريم بالأحكام في رأي العلماء ؟

ربما تختلف عبارات العلماء ، وتعتمد أقوالهم في هذا الموضوع ،

ولكنها تؤدي في النهاية إلى معنى واحد - تقريباً - وهو

أن القرآن محكم ، بمعنى " أنه لا اختلاف فيه ، ولا اضطراب ،

يصدق بعضه بعضاً ، وأنه نصيح الألفاظ ، صحيح المعاني ،

(١) سورة يونس آية (١)

(٢) ابن منظور " لسان العرب ١٢ / ١٤١

(٣) سورة هود آية (١)

يهدى الى الحق والى طريق مستقيم ، يميز في اخباره الصدق من الكذب ، وفسمي
أوامره التي من الرشاد ، فهو بهذا الاعتبار " ثاني تقشمر منه جلود الذهبين
يخشون ربهم ثم تلحن جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله " (١)
ولا بأس من أن نذكر هنا بعض تلك الأقوال التي

منها " أن المراد من كون القرآن الكريم كله حكماً " هو إتقائه ، وعدم تطرق الدق
والاختلاف اليه ، وإحكام نظامه ، أو من الحكمة التي اشتملت آياته عليها . (٢)

ومنها " أنه محكم بمعنى " أنه ليس فيه عيب ، وأنه كلام حق ، فصيح الالفاظ ، صحيح
المعاني ، متقن متين ، لا يتطرق اليه خلل لفظي ، ولا معنوي ، ولا يتأثر بـ
تصدع ولا وهن . (٣)

ومنها " أن إحكام القرآن الكريم أتى من جهة الإتفاق الذي يعم آياته إذ هو يصدق بعضه
بعضاً ، فالإحكام الذي يعمه هو الإتفاق وتميز الصدق من الكذب في أخباره ،
والتي من الرشاد في أوامره . (٤)

أما ابن تيمية - رحمه الله تعالى - فعزى أن الإحكام يكون - أحياناً -
في التنزيل ، وفي مقابله ما يلقيه الشيطان ، مستنداً لذلك بقوله تعالى " (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تلقى الشيطان في أمنيه
فيمنسج الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليهم حكيم) (٥)
وتارة يكون الإحكام في إبقاء التنزيل ، وعدم نسخه ، ومقابل المحكم حينئذ
المنسوخ .

يقول ابن تيمية في ذلك "

((الإحكام تارة يكون في التنزيل ، فيكون في مقابله ما يلقيه الشيطان ، فالمحكم
" المنزل من عند الله ، أحكمه الله ، أي فصله من الاشتباه بغيره ، وفصل
منه ما ليس منه ، فإن الإحكام " هو الفصل والتمييز ، والفرق والتحديد الذي به
يتحقق الشئ ويحصل إيقانه .

(١) سورة الزمر آية ٢٣ . (٢) السيوطي " الاتقان ٢/٢ ، محمد رشيد رضا

تفسير المنار ١٦٣/٣ (٣) القاسمي " محاسن التأويل ٢/٤ ، الزرقاني " مناهل العرفان ١٦٢/٢ (٤) محمد بن إبراهيم الحسني الصنعاني " ترجمه

أساليب القرآن ص ١٤٤ عن مسائل العقيدة الإسلامية ، رسالة دكتوراه مخطوطة .
كلية أصول الدين بالأزهر . مقدمة من " عبد العزيز سيف النصر .

(٥) سورة الحج آية (٥٢)

وتارة يكون — الاحكام — في ايقاع التنزيل ، عند من قابله بالنسخ الذي هو
رفع ما شرع . . . والسلف كانوا يسمون كل رفع نسخا سواء كان رفع حكم ، أو رفع
دلالة ظاهرة (١)

فبكل هذه المعاني المتقدمة ، صدق أن يطلق على القرآن الكريم كله بأنه محكم .

ثانيا " (القرآن كله متشابه) "

سبق أن مررنا أن القرآن وصف بأنه كله محكم ، وسنورد
— هنا — ما يدل على أن القرآن الكريم قد وصف بأنه
كله متشابه ، وذلك في قوله تعالى من سورة الزمر "
(الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها شاني تقشمر
منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلهم جلودهم وقلوبهم
الى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء
ومن يضلل الله فماله من هاد) (٢)
وواضح من الآية الكريمة في قوله تعالى " (كتابا
متشابها) أن هذا الوصف يشمل القرآن جميعه .
فما المراد بالتشابه الذي وصف به القرآن هنا ؟
لقد قيل " ان المراد من وصف القرآن الكريم هنا
بأنه كله متشابه — في حين أنه وصف فيما سبق بأنه
كله محكم — أن بعضه يشبه بعضا في الحق والصدق ،
وفي سلامته من التناقض ، والاختلاف ، كذلك يشبه
بعضه بعضا في هدايته وبلاغته ، وفي اعجاز ألفاظه
ومعانيه . وهو عكس المتضاد المختلف ، المذكور
في قوله تعالى "
(أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه
اختلافا كثيرا) (٣)

١ — ابن تيمية " الاكليل " مجموعة الرسائل الكبرى

٢ — سورة الزمر آية (٢٢) ٨٠، ٧/٢
(٣) سورة النساء آية (٨٢)

وفي قوله تعالى من سورة الذاريات " (١)
(انكم لفي قول مختلف يؤفك عنه من أفك) (٢)
وبهذا التفسير لكلمة (التشابه) التي وصف القرآن كله بها ، يظهر واضحا
أنه لا تعارض بين وصف القرآن كله مرة بأنه محكم ، ووصفه مرة أخرى بأنه متشابه .
فالقرآن كله محكم ، باعتبار ، وكله متشابه باعتبار آخر ، ولا تعارض بينهما ، ولا خلاف
بين العلماء في ذلك .

ثالثا " (القرآن بعضه محكم ، وبعضه متشابه)

وهذا هو (الاحكام الخاص) والتشابه
الخاص . يقول الله تعالى في سورة آل عمران " (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات
من أم الكتاب وآخر متشابهات .) الآية .
فهذه الآية تدل بظاهرها على أن القرآن
منه ما هو محكم ، ومنه ما هو متشابه ، وهما
وصفان متقابلان ، فالعنى الذي أريد
من الوصف الأول (محكمات) مغاير للمعنى
الذي أريد من الوصف الثاني (متشابهات) ،
وأن ما قصد بالأول خلاف ما قصد بالثاني .
فما هو المقصود — إذن — بالمحكم والمتشابه
في هذه الآية في رأى العلماء ؟
سيتبين الجواب من ذلك في المبحث الثاني
وهو ما سننتقل إليه الآن .

(١) سورة الذاريات آية (٨ ، ٩)

(٢) السيوطي " الاتقان ٢ / ٢ ، ومحمد رشيد

رضا " تفسير المنار ٣ / ١٦٣ ، وابن تيمية

" تفسير سورة الاخلاص ص ١١٥

((المبحث الثاني))

((معنى المحكم والتشابه في اللفظة وفي اصطلاح العلماء))

(معنى المحكم في اللفظة)

لمعنى (المحكم) في اللفظة اطلاقات كثيرة ، ولكن بالرغم من تعدد تلك الاطلاقات الا أنها تتفق في معنى عام — كما يقول الشيخ محمد رشيد رضا — وهو " المنع " (١) .
ويقول ابن منظور " . . . والعرب تقول "
(حكمت ، وأحكمت ، وحكمت بمعنى " ضمت وردت ، ومن هذا قول للحاكم —
الناس حاكما ، لأنه يمنع الظالم من الظلم .
قال الاصمعي " أصل الحكومة رد الرجل عن الظلم ، قال " ومنه سميت حكومة
اللجام ؛ لأنها ترد الدابة) .
وقال الأزهري " (وحكم الشيء ، وأحكمه ، كلاهما منعه من الفساد) (٢)
إذن (فالمحكم) — وبناء على ما تقدم — هو ما يمنع بأحكامه من تطرق الخلل والفساد
إليه .

وبهذا القدر من تعريف المحكم في اللفظة نكتفي ، إذ أننى لا أرى ما يدعو الى ذكر
كل ما قيل في اللفظة عن المحكم ، لاسيما وأن جميعها يعود — كما سبق —
الى معنى عام هو " المنع " .
وننتقل بعد هذا الى ذكر معنى التشابه في اللفظة .

(١) محمد رشيد رضا " تفسير المنار ١٦٣/٣ ، والزرقاني " مناهل العرفان

١٦٦/٢

(٢) ابن منظور " لسان العرب ١٢ / ١٤١ ، ١٤٣

(معنى التشابه في اللغة)

يطلق (التشابه) في اللغة على العائلة بين شئين ، وهما تعددت عبارات اللغويين في هذا ، فأنها لاتعنى أكثر من ذلك . . يقول ابن منظور " (التَّشْبِيْهُ ، وَالتَّشَبُّهُ ، وَالتَّشْبِيْهُ : المثل . والجمع " أشبهه . . وأشبه الشيءُ الشيءَ " مثله ، وفي المثل " من أشبه أباه فذا ظلم وأشبهت فلانا ، وشابهت ، واشتبه علي ، وتشابه الشيطان ، واشتبهها ، أشبه كل واحد منهما صاحبه وشبهه به " مثله والتشابهات " التعانلات والتشبيه " التمثيل) (١) ومن هذا التمرير في اللغة لمعنى " (التشابه) ، يظهر أن التشابه بين شئين ربما يكون سببا في غموضهما ، وعدم التفرق بينهما ، لاسيما اذا كان التشابه قويا بين أمرين .

(المحكم والتشابه في اصطلاح العلماء)

فيختلف العلماء اختلافا كبيرا ، وتمددت آراؤهم في تحديد معنى كل من المحكم والتشابه في القرآن الكريم ، الوارد في قوله تعالى من سورة آل عمران " (منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات) الآية . . ترى ما هي الآيات المحكمات ؟ وما هي الآيات المتشابهات التي في الله تعالى بهذه الآية من سورة آل عمران ؟

(١) ابن منظور " لسان العرب ١٣ / ٥٠٣

ان الناظر في كتب التفسير ، وكتب العقائد يجد الآراء الحمدة ، والأقوال المختلفة في بحث المحكم والمشابه ، ولا يكاد أن يخرج بمتجمة حاسمة للخلاف في الموضوع ، بل ربما يخطر للباحث - لكثرة الاختلاف - أن البحث في المحكم والمشابه ، لمعرفة المراد بكل واحد منهما هو أمر من التشابه ، وأن لم يكن ذلك مقصودا بآية آل عمران • والذي جعلني أقول " أن البحث في معرفة المحكم والمشابه هو نفسه من التشابه هو أن كل ما عده العلماء متشابهاً قد تكلموا فيه بالتفسير ، والتأويل ، ولم يتركوا من ذلك سوى أخبار القياس ، والبحث ، والحشر ، والجزء ، أمواذا ذلك فقد أولت كل طائفة فيه بدلها ، تارة بالتأويل ، وأخرى بالتفسير •

ولعل السبب في ذلك الاختلاف ، وكثرة الآراء ، هو عدم ورود نص شرعي يحدد معنى كل من المحكم والمشابه ، ويحكم النزاع الواقع بين العلماء •
لذا فإنني سأذكر الآراء بإيجاز ، وسأبدأ بذكر ما نقل من السلف في هذا الموضوع ، ثم أتبعه بآراء الأشاعرة ، ثم المعتزلة • وبالله التوفيق •

((أقوال السلف في المحكم والمشابه))

القول الأول

يرى أصحاب هذا القول أن المحكمات هي الآيات الثلاث من آخر سورة الأنعام (١) من قوله تعالى " (قل تعالوا أتت ما حرم ربكم عليكم) ، وأربع آيات من سورة الاسراء (٢) من قوله تعالى " (وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه) الى آخر قوله تعالى " (وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تجذرتبذيرا) •

(١) سورة الأنعام الآيات " (١٥١ - ١٥٣)

(٢) سورة الاسراء الآيات " (٢٣ - ٢٦)

روى ذلك ابن جرير الطبري في تفسيره (١) من ابن عباس رضي الله عنهما والآيات الثلاث من آخر سورة الأنعام هي التي تسمى الوصايا المشهورة؛ لا شتمها على عشر وصايا ، وموضوعاتها هي "

أولا "

النهي عن الإشراك بالله تعالى .
(قل تعالوا أتتل ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا به شيئا)

ثانيا "

الأمر بالاحسان الى الوالدين .
(وبالوالدين احسانا)

ثالثا "

النهي عن قتل الأولاد بسبب الفقر .
(ولا تقتلوا أولادكم من اطلاق) .
ثم عقب سبحانه هذا النهي بما يبيح الطمانينة في النفوس ، والتوكل عليه سبحانه وتعالى ، فقال " (نحن نرزقكم واياهم) .

رابعا "

النهي من الاقتراب من الفواحش .
(ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن) .

خامسا "

النهي من قتل النفس الانسانية الا بالحق .
(ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق)

سادسا "

النهي عن الاقتراب من مال اليتيم الا بما يصلحه وينمي به حتى يبلسخ اليتيم ويحسن التصرف في ماله .

(١) ابن جرير الطبري " التفسير ١٧٤/٦ ، السيوطي " الاتقان ٢/٢

(ولا تقربوا مال الغنم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده)

سابعاً

الأمـر بـاءفا الكهل والوزن ، وعدم التطفيف فـهـمـا •
(وأوفوا الكهل والميزان بالتسـط) •

ثامناً

الأمـر بالصدق في القول ، ولو كان على الأقربـين •
(وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى) •

تاسعاً

بـا لعهد
الأمـر بالرفـاء بالوجـهـد •
(وبصـهـد الله أوفوا)

عاشرأ

الأمـر باتـباع سبيل الله المستقيم ، والنهي عن اتباع سبل الشيطان
التي من شأنها أن تبعدهم من سبيل الله •
(وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم من سبيله)
وأما الآيات الأربع التي في سورة الاسراء ، والتي ذكر ابن عباس رضي الله
عنهما أنها من المحكمات فهي قوله تعالى •
(وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً أما يبلغن عندك
الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريماً
واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً •
ربكم أعلم بما في نفوسكم إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غصصاً •
وأت ذا لقوى حقاً والصكون وابن السبيل ولا تنذر تنذيراً) • (١)

(١) سورة الاسراء الآيات (٢٣ - ٢٦)

وكما هو واضح من الآيات ، فإن موضوعاتها تكاد تتفق مع ما ورد في سورة الانعام ، فقد أمرت بعبادة الله تعالى وحده ، وعدم الاشراك به في العبادة ، وأمرت ببر الوالدين باسمها ب ، وهو الموضوع الثاني من موضوعات سورة الانعام ، حيث بينت بوضوح ما يجب على الانسان تجاه والديه من طاعتها ، فقد أمرته أن يقول لهما قولا كريما ، وأن يدعو لهما بالرحمة والخير ، جزاء ما بذلا في تربيته وما لقيا من مشقة منذ طفولته حتى صار رجلا مكتمل القوى .

كما نهته من عقوبتهما ، والاضرار بهما ، وبينت له أقل ما يمكن أن يكون عقوبتا لهما ، وهو اهداء التضجر بالتأفف أمامهما ، ومخاطبتهما بالصوت العالي ، والقول الجهورى ، فإن هذه الأمور تتنافى والآداب الواجب مراعاتها تجاههما والاعتراف لهما بالفضل والاحسان .

ثم أخبر سبحانه بعد ذلك ، بأنه يعلم ما يكتنه الانسان في نفسه من خسر وشر ، ليكون ذلك رادعا له من اضرار الشر ، وحافزا له لأن تكون أعماله كلها سالحة حتى ما يضره في نفسه ، لأن الله يغفر للصالحين التائبين ، وقد وردت بعض وصايا زائدة في سورة الاسراء على ما ورد في سورة الانعام ، وهي الأمر بدفع الحقوق الى اصحابها .

وقد اشتملت هذه الآيات - أيضا - على النهي عن التبذير ، لأنه صفة ذميمة ، وهو من صفات الشياطين ، كما بينته الآية التي بعد هذه الآيات من سورة الاسراء ، وهي قوله تعالى " (ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا) (١)

القول الثاني*

يذهب إلى أن (المحكمات) هي "الناسخ، والحلال، والحرام، والحدود، والفرائض، وما يؤمن به، ويعمل به".
و (المتشابهات) "النسخ، والمقدم، والمؤخر (١)، والأمثال، والاقسام، وما يؤمن به، ولا يعمل به".
وهذا القول مروى عن ابن عباس، وقناة، وابن مسعود، والسدي، والضحاك وغيرهم (٢).

ويجعلهم رضي الله عنهم (ما يؤمن به، ولا يعمل به) من التشابه،
صح أن يدخل النسخ في (التشابه)، وأما في النسخ، ما نسخ حكمه، وبقيت تلاوته، أما ما نسخ تلاوته، وبقي حكمه، شمل آية الرجم وغيرها، فلا يدخل في (التشابه) الذي (يؤمن به، ولا يعمل به)، لأنه يتعلق به عمل، وهو تنفيذ الحكم في من يتعلق به، والله أعلم.

القول الثالث*

هو أن (المحكم) ما أحكم الله فيه بيان الحلال والحرام، والتشابه "ما سوى ذلك يصدق بمضه بمضا".
روى ذلك عن مجاهد وعكرمة (٣).

(١) مثال المقدم، والمؤخر "قوله تعالى" (فلا تمسك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا).
روى عن قتادة أنه قال "هذا من تقديم الكلام، يقول" (لا تمسك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا، إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة)، السوطي "الاتقان ١٣/٢".

(٢) ابن جرير الطبري "التفسير ١٧٥/٦-١٧٦، وابن كثير "التفسير ٣٤٤/١، وابن تيمية "تفسير سورة الأناصص ١١٧".

(٣) ابن جرير الطبري "تفسير ١٧٦/٦، تحقيق محمود محمد شاكر، وابن تيمية "تفسير سورة الأناصص ١١٧".

القول الرابع

هو أن (المتشابه) الحروف المقطعة في أوائل بعض السور، مثل
(أَلَمْ) و (أَلَمْ)
وهذا القول يروى عن ابن عباس رضي الله عنهما . (١)

القول الخامس

أن (المحكم) قصص الرسل والأنبياء مع أممهم ما قد بيناه
سبحانه لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم .
(المتشابه) ما اختلفت ألفاظه في قصصهم عند التكرار
في السور ، كما قال تعالى في موضع من قصة نوح عليه الصلاة
والسلام (أحمل فيها) (٢) وقال في موضع آخر (فأسلك فيها) (٣)
وقال في قصة موسى عليه الصلاة والسلام " (فإذا هي حية)
تسمى (٤) وقال في موضع آخر " (فإذا هي ثمان ميين) (٥)
روى ذلك عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (٦)

-
- (١) ابن جرير الطبري " التفسير ١ / ٢١٦ ، وابن تيمية " تفسير
سورة الاخلاص ص ١٣٩
(٢) قال تعالى " قلنا أحمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك) سورة
هود آية ٤٠
(٣) قال تعالى " فأسلك فيها من كل زوجين اثنين وأهلك) سورة
المؤمنون آية ٢٧ .
(٤) (فألقاها فإذا هي حية تسمى) سورة طه آية (٢٠)
(٥) (فألقى عصاه فإذا هي ثمان ميين) سورة الأعراف آية (١٠٧)
(٦) ابن جرير الطبري " التفسير ٦ / ١٧٨ ، وابن تيمية " تفسير
سورة الاخلاص ص ١٤٠ .

القول السادس

يذهب أصحاب هذا القول الى أن (المحكم) ما لا يحتمل مسن التأويل الا وجهها واحدا . و (التشابه) ما احتمل من التأويل أوجهها .

روى هذا القول عن محمد بن جعفر بن الزبير ، ونقل عن الامام الشافعي ، والامام أحمد رحمهم الله تعالى . (١)

القول السابع

هو أن (المحكم) ما عرف العلماء تأويله ، وفهموا معناه وتفسيره . و (التشابه) ما لم يكن لأحد الى فهمه سهيل ؛ مما أستأثر سر الله بعلمه دون خلقه ، كقيام الساعة ، ووقت طلوع الشمس من مغربها ، ونزول عيسى بن مريم ، وما أشبه ذلك . وهذا القول روى عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه . (٢)

((أقوال الأشاعرة في المحكم والتشابه))

القول الأول

أن (التشابه) هو الذي لا يعلم تأويله الا الله ، ونسبه الحروف المقطعة في أوائل بعض السور . ذكر هذا القول ، البغدادي في كتابه (أصول الدين) ونسبه الى الحارث المحاسبي ، والقلاني ، وغيرهما ، كالامام مالك والامام الشافعي ، وأكثر الأمة ، يقول البغدادي

(١) ابن جرير الطبري " التفسير " ١ / ١٧٧ ، وابن تيمية " تفسير سورة الاخلاص ص ١١٨ - ١٤٠

(٢) ابن جرير الطبري " التفسير " ١ / ١٧٩ ، ١٨٠ ، وابن تيمية " تفسير سورة الاخلاص ص ١٣٨

" (واختلف أصحابنا في ادراك علم تأويل الآيات المتشابهات ، فذهب الحارث المحاسبي ، وعبد الله بن سعيد ، وأبو العباس القلانسي ، إلى أن (المتشابه) هو " الذي لا يعلم تأويله إلا الله ، وقالوا " (١) .

منها " حروف الهجاء في أول كل السور ، وهذا قول مالك ، والشافعي ، وأكثر الأمة . ومن قال بهذا ، وقف على قوله تعالى " (وما يعلم تأويله إلا الله) ثم ابتدا من قوله تعالى " (والراسخون في العلم . . .) الآية .

وقال البغدادى أيضا "

(وكان شيخنا أبو الحسن الأشعري يقول " لا بد من أن يكون في كل مصر من المصالح من يعلم تأويل ما تشابه من القرآن . وإليه ذهب المعتزلة ، ووقفوا من الآية على قوله تعالى " (والراسخون في العلم) ، والوقف الأول أصح عندنا ، وبه قال ابن عباس ، وابن مسعود ، وأبي بن كعب ، وفي مصنف أبي " وما يعلم تأويله إلا الله ويقول الراسخون في العلم أمنا به . . . وفي مصنف ابن مسعود " (. . .) وإن تأويله إلا عند الله ، ثم قال " والراسخون في العلم " (١) .

القول الثاني

أن (المحكم) هو ما لا تختلف فيه الشرائع ، كالوصايا المشر

الواردة في سورة الانعام .

(والمتشابهات) ما يمكن أن تختلف فيه الشرائع ، كأعداد الصلوات

ومقادير الزكاة ، وغير ذلك .

قاله الرازي في تفسيره بعد أن ذكر قول ابن عباس في أن المحكم

" الآيات الثلاث من سورة الانعام فقال "

(وأقول " التكليف الواردة من الله تعالى تنقسم إلى قسمين "

منها " ما لا يجوز أن يتغير بغير شرع ، وذلك كالأمر بطاعة الله تعالى ،

والاحتراز عن الظلم ، والكذب ، والجهل ، وقتل النفس بغير حق .

" . . .

ومنها ما يختلف بشرع وشرع ، كأعداد الصلوات ، ومقادير الزكوات ، وشرائط البيع ، والنكاح ، وغير ذلك ، فالقسم الأول هو المسمى بالمحكم عند ابن عباس ، لأن الآيات الثلاث في سورة الأندعام مشتملة على هذا القسم . وأما (التشابهات) فهو الذي سميناه بالمجمل ، وهو ما يكون دلالة اللفظ بالنسبة إليه وإلى غيره على السوية . (١)

القول الثالث

(للتشابه) الآجال الحادثة ، كقيام الساعة ، والحشر والحشر ، التي خفي علمها عن الخلق ، واستأثر الله بعلمها دون خلقه ، فلم يطلع أحدا من خلقه على وقتها ، وكيفيةها لا نبي مرسل ولا ملك مقرب . وهذا القول ذكره امام الحرمين الجويني عن الزجاج ، وارتضاه هو ، وذلك بعد أن ذكر - الجويني - الخلاف في الوقف من آية آل عمران ، هل هو على قوله تعالى " (وما يعلم تأويله الا الله) أو على قوله تعالى " (والراسخون في العلم) .

قال الامام الجويني رحمه الله تعالى "

(. . .) والوجه الآخر في الكلام ما ارتضاه الزجاج (٢) حيث قال " أراد الرب تعالى بالتشابه في الآمة ، المواعيد التي انطوت عن الخلق عواقبها ، كمواقع الحشر والنشر ، والساعة ، وهي التي تقلب في السموات والأرض لا تأتي الا بفتة ، فوبخ الله تعالى الكفرة المعترضين ، مما ظهر من الآيات الباهرة . التشبيه بين باستمجالهم ما توعدوا به من المذاب والمقاب ، واستكشاف موقع الساعة ومرسأها ، ومختم الدنيا ومفتهاها ، فوبخهم الله تعالى

(١) الفخر الرازي " التفسير الكبير ٧ / ١٨٢ الطبعة الأولى .

(٢) الزجاج (٢٤١ - ٣١١ هـ) هو أبو اسحاق ابراهيم بن

السري بن سهل ، عالم بالنحو واللفظ ، ولد ومات في بغداد

كان في فتوته يخطر الزجاج ، ومال إلى النحو ، فعلمه المبرد

وطلب عبد الله بن سليمان مؤديا لابنه فغدله المبرد على

الزجاج فأدب له ابنه إلى أن ولي الوزارة فكان أبيه ، فجعله

القاسم من كتابه ١٠ هـ . الأعلام ١ / ٣٣ ط ١٠٠٠

لما صرّوا بالمشابه ، وانحجروا عن التبيين في الآيات
منهم وعنادا ، وتمللا في دفع الحق ، وهذه الآية المطلقة فسرتها آيسة
من كتاب الله واضحة (١) مشتملة على ذكر مساء لتهم عن الساعة ، واستمجالهم
المذاب ، وابتغائهم استئلال الناس ، والفتن بالتأويل ، إذ مآل الوعيد
والوعيد هو وقوعهما ، وقد سمى الرب تعالى القيامة تأويلا في قوله تعالى " (هل ينظرون الا تأويله)

قال الجويني " (وهذا أحسن الوجوه في الكلام على الآية) (٢) ١٠ هـ
وعلى الرغم من التباين بين قول الجويني هذا وبين قول الرازي المتقدم
الا أن للرازي قولا آخر يتفق مع قول الجويني ، ذكره عند الكلام على معنى
التأويل فقال "

(١٠٠) واعلم أن المراد أنهم طلبوا التأويل الذي ليس في كتاب الله
تعالى علمه دليل ولا بيان ، مثل طلبهم " أن الساعة متى تقوم ؟ وأن مقادير
الثواب والعقاب لكل مطيع وعاصم تكون ؟ (٣)
يضاف الى هذا أن بعض المتأخرين يرى أن آيات الصفات من التشابه
ذكره ابن تيمية ، والشيخ محمود الألوسي في تفسيره (روح المعاني) فقال "
(واعلم أن كثيرا من الناس جعل الصفات النقلة ، من الاستواء ، والهدى ، والقدم ،
والنزول الى السماء الدنيا ، والضحك ، والمجيب ، وأمثالها من التشابه) (٤)
هذا وبعد ذكر أقوال الأشاعرة في المحكم ، والتشابه تنتقل الى ذكر بعض
أقوال المعتزلة فهما باختصار .

(١) لعل الآية المشار اليها هي قوله تعالى من سورة الاعراف (يسئلونك عن الساعة
أيان مرساها قل انما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت في السموات
والأرض لا تأتونكم الا بفتنة يسئلونك كأنك حفي عنها قل انما علمها عند الله
ولكن أكثر الناس لا يعلمون) آية ١٨٧)

كذلك ورد السؤال عن الساعة في سورة الأحزاب آية (٦٣) ، وسورة القيامة
القيامة آية (٦) ، وسورة المعارج آية (١) وسورة النازعات آية (٤٢) ١٠ هـ
المعجم المفهرس لألفاظ القرآن باب (السين)

(٢) الجويني " الشامل ص ٥٥٢ ط ١٩٦٩ م تحقيق د . علي سامي النشار .

(٣) الفخر الرازي " التفسير الكبير ١٨٨ / ٧ (٤) ابن تيمية " تفسير سورة الاخلاص ١٤١ ،
محمود الألوسي ، روح المعاني ٨٧ / ٣ ، والسيوطي " الاتقان ٦ / ٢ ، والراغب الاصفهاني
الفردات في غريب القرآن ، كتاب (السين) .

((أقوال الممترلة في المحكم والتشابه))

الممترلة كغيرهم من الفرق قد اختلفوا في تحديد كل من المحكم والتشابه الوارد ذكرهما في القرآن الكريم في سورة آل عمران . فقد ذكر أبو الحسن الأشعري - رحمه الله تعالى - اختلافهم في ذلك ، في كتابه " (مقالات الاسلاميين) . وبين أن لهم ثلاثة أقوال ، ونحن نورد هنا كما ذكرهما هو منسوبة لأصحابها ، ثم نذكر من وافقهم في تلك الأقوال أو بعضها من أئمتهم المعتبرين فنقول "

القول الأول "

(أن المحكمات ما أعلم الله سبحانه ، من عقابه للفساق كقوله تعالى " (ومن يقتل مؤمنا متعمدا) (١) وما أشبه ذلك من آي الوعيد .
و (التشابهات) ما أخفى الله عن العباد عقابه عليها ، ولم يبين أنه يمدب عليها كما بين في المحكم منه) .
وهذا القول نسبته أبو الحسن الأشعري إلى (واصل بن عطاء)
و (مسروق بن ميمون)

القول الثاني "

قال (أبو بكر الأصم " (محكمات) بمعنى حجبها واضحة لاحتاجة لمن يعتمد إلى طلب معانيها ، نحو ما أخبر الله سبحانه عن

(١) سورة النساء آية (٩٣)

الأم التي مضت ممن مات بها ، وما يشيت عقابها ، ونحو ما أخبر عن شركسي
الصرى ، أنه خلقهم من النطفة ، وأنه أخرج لهم من الماء فأكهه وأبسا ،
وما أشبه ذلك . فهذا محكم كله ، . . . قال الله سبحانه " (آيات
محكمات هن أم الكتاب) أى الأصل الذى لو فكرتم فيه مرقتم أن كل شئ
جاءكم به محمد صلى الله عليه وسلم حق من عند الله سبحانه .
(وأخر متشابهات) وهو نحو ما أنزل الله من أنه يبعث الأموات ، ويأتي
بالساعة ، ويتنقم ممن عصاه ، أو ترك آية ، أو نسخها مما لا يدركون —
إلا بالنظر ، فيتركون هذا ويقولون " امتنا بهذا الله . . .) .

القول الثالث

نسبه الإمام أبو الحسن الأشعري الى (الاسكافي) ، وهو
أنه قال في قول الله تعالى "
(آيات محكمات) قال " هي التى لا تأويل لها غير تنزيلها ،
ولا يحتمل ظاهرها الوجوه المختلفة .
(وأخر متشابهات) هي الآيات التى يحتمل ظاهرها في السمع
المعاني المختلفة) (١)
وبهذا القول قال " القاضي عبد الجبار والزمخشري (٢) .
وبعد أن ذكرنا الأقوال الواردة عن السلف ، والأشاعرة
والمعتزلة في الحكم ، والمتشابه ، دون تعليق عليها أو
مناقشة ، ننتقل الى المبحث الثالث ، وهو مبحث مناقشة الإراء
وبيان الراجح منها .

(١) أبو الحسن الأشعري " مقالات الاساطين واختلاف المصلين
١ / ٢٩٣ - ٢٩٤ الطبعة الثانية ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م

(٢) القاضي عبد الجبار " شرح الأصول الخمسة ص ٦٠ ط ٠ الأولى
ومتشابه القرآن ١ / ١٩ ، المسمى ١٦ / ٣٧٩ (اعجاز القرآن)
الطبعة الأولى .

والزمخشري " تفسير الكشاف ١ / ٤١٢ طبعة عام ١٣٨٥ هـ

المبحث الثالث

((مناقشة الآراء وبينان المراجع منها))

ذكرت في المبحث السابق أقوال العلماء في المحكم والمشابه ، فذكرت سبعة أقوال للسلف ، وثلاثة للأشاعرة ، وثلاثة للمعتزلة ، وفي هذا المبحث سأناقش تلك الأقوال وأختار بعد ذلك المرجح .

ولما كنت قد ذكرت في المبحث السابق أقوال كل فرقة على حدة منفصلة عن أقوال الفرقة الأخرى ، ولما كانت هذه الفرق - ربما - تتفق آراءها في قول أو أكثر ، فأننى أرى أنه لا بد - والحالة هذه - من إعادة تلك الأقوال - باختصار - والاشارة الى ما اتفقت عليه الفرق الثلاث أو بعضها من تلك الأقوال . فأقول وبالله التوفيق .

القول الأول

لابن عباس رضي الله عنهما " (المحكم) هو الثلاث آيات من سورة الانعام ، من قوله تعالى " قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا به شيئا . . . الآيات ومن سورة الاسراء من أول قوله تعالى " (وقضى ربك الاتصموا بالآيات وبالوالدين احسانا الى قوله تعالى " (وآت ذا القربى حقه) الآية .

وبهذا القول قال الفخر الرازى من الأشاعرة .

وكما هو واضح من سياق الكلام فابن عباس رضي الله عنهما لم يتمرض للمشابه في هذا القول فهل معنى هذا أن ما عدا ما ذكر في آيات سورة الانعام والاسراء السابقين يكون متشابها ؟

والجواب قد يكون ذلك ١) لولا أنه ورد عنه تفسير التشابه في قولين آخرين سنأتي على ذكرهما - ان شاء الله - أولهما ما ورد في القول الثاني المنقول عنه وهو الآتي .

القول الثاني

لا بن عباس، وابن مسعود، وقتادة، والسدي، والضحاك وغيرهم .
(المحكم) الناسخ، والحلال والحرام، والحدود، والقصاص
... الخ .

و(التشابه) المنسوخ، والمقدم، والمؤخر، والأمثال، والأقسام،
وما يؤمن به ولا يعمل به .
وتفسير ابن عباس ومن معه، المحكم بأنه الحلال والحرام
... الخ .

يتفق مع قول ابن عباس الأول إذ أن آيات سورة الانعام والاسراء
التي ذكرها ابن عباس تتحدث عن الحلال والحرام، وقد سبق
أن ذكرت موضوعاتها بما يخفى من إعادته هنا .
والزيادة التي وردت في قول ابن عباس هذا أن المحكم هو
الناسخ، والناسخ لا يخلو من أحد أمرين
أما أن يكون رافعا حكما دون أن يستبدل بحكم آخر بموضنا.
عنه .

وأما أن يكون رافعا حكما ومثبتا حكما آخر عوضا عنه وهذا الناسخ ^{للمحكم}
~~للمحكم~~

أما أن يكون " أمرا بحلال أو نهيا عن حرام .
إذن فالقولان - الأول والثاني - في تفسير المحكم متفقان ،
ولا تعارض بينهما لما بيننا .

أما تفسير (التشابه) هنا - بأنه المنسوخ، والمقدم، والمؤخر
... الخ .

فهو أحد قولي ابن عباس في التشابه، وسيأتي له قول آخر .
ولعل المراد بقول السلف هذا بأنه من التشابه الذي لا يظهر
لكل أحد فهو تشابه نسي إذا خفي على شخص علمه أخسر ،

وإذا لم يعلم في عصر علم في عصر آخر • كما ذكر ذلك أبو الحسن الأشعري
فيما تقدم • (١) لأنهم يريدون أنه متشابه لا يعلمه إلا الله • ومما
يدل على ذلك أن ابن عباس قال لنافع بن الأزرق " (أني أحسبك قميت
من عدد أصحابك فقلت لهم " أين ابن عباس فالتقي عليه متشابه القرآن) (٢) (٢)
قال ابن عباس رضي الله عنهما ذلك لنافع عندما سأله نافع من قوله تعالى
" (فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) (٣) مع قوله تعالى (وأقبل بعضهم
على بعض يتساءلون) (٤) وقوله تعالى " (ولا يكتُمون الله حديثا) (٥) مع
قوله تعالى " (ربنا ما كنا مشركين) (٦)

فابن عباس رضي الله عنهما سعى هذا متشابهها ومع ذلك فقد فسرها لنافع بن
الأزرق مما يدل على ما سبق أن قلته من أن مرادهم بالتشابه في المنسوخ
والمقدم • الخ هو التشابه النسبي الذي لا يعلمه كل أحد كما
لا يخفى على كل أحد •

القول الثالث

قول مجاهد وعكرمة •
المحكم " الحلال والحرام •
والتشابه " ما سوى ذلك يصدق بمضه بمضا •
وهذا القول يتفق مع قولي ابن عباس السابقين في المحكم •
أما قولهما في التشابه " بأنه ما سوى ذلك يصدق بمضه بمضا •
فلا شك أن التشابه نفسه مع تشابهه يصدق بمضه بمضا •
ولا يتماضى أبدا •

-
- (١) انظر القول الأول من أقوال الأشاعرة في المحكم والتشابه •
 - (٢) انظر القصة مع تفسير ابن عباس لها ، صحيح البخاري مع شرحه
فتح الباري • كتاب التفسير سورة (حم) السجدة •
 - (٣) سورة المؤمنون آية (١٠١)
 - (٤) سورة الطور آية (٢٥)
 - (٥) سورة النساء آية (٤٢)
 - (٦) سورة الأنعام آية (٢٣)

القول الرابع

قول ابن عباس رضي الله عنهما .
بأن التشابه الحروف المقطعة في أوائل بعض السور . . . الخ .
وهذا هو القول الثاني من قولي ابن عباس في التشابه .
وقد عزا البغدادي في كتابه (أصول الدين) هذا القول إلى
الحارث المحاسبي ، والقلاسي ، وغيرهما ، أمثال الامام مالك والامام
الشافعي ، وأكثر الأمة كما سبقت الإشارة إلى ذلك .
وقد ذكر هذا القول أيضا ابن جرير الطبري في تفسيره ، ورجح
أن تكون هذه الرواية من ابن عباس هي المرادة بالتشابه
بالرغم من تضعيفه لها في موضعين من تفسيره ، وذلك بسبب
محمد بن السائب الكلبي وهو منهم بالكذب . (١)

القول الخامس

من عبد الرحمن بن زيد بن أسلم .
(المحكم) قصص الأنبياء والرسول مع أمهم . . . الخ .
(والتشابه) ما اختلفت ألفاظه في قصصهم واتفقت معانيهم
عند التكرير في السور . . . الخ .
وهذا التشابه من تشابه الألفاظ على القارئ لتكرارها في
عدة سور بألفاظ مختلفة . أما معانيها فلا اختلاف بينها .

(١) ابن جرير الطبري " التفسير ١ / ٦٦ ، ٧٦ الخبر رقم (٧٢)
والكلبي " هو " محمد بن السائب الكلبي أبو النضر الكوفي .
انظر ترجمته ، وما قيل فيه . تهذيب التهذيب " لابن حجر
المستقلاني ١ / ١٧٨ وما بعدها . الطبعة الأولى .
والذهبي " ميزان الاعتدال ٣ / ٥٥٦ ط . الحلبي .

القول السادس*

- عن محمد بن جعفر بن الزبير ، والامام الشافعي ، والامام احمد .
(المحكم) ما لا يحتل من التأويل الا وجهها واحدا .
(المتشابه) ما احتل في التأويل أوجهها .
وبهذا القول قال الفخر الرازي من الأشاعرة ، والاسكافيني
والزمخشري ، والقاضي عبد الجبار من المعتزلة .

القول السابع*

- روى عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه .
أن (المحكم) ما عرف الملما تأويله ، وفهموا معناه وتفسيره .
(المتشابه) ما لم يكن لأحد الى علمه سهل بما استأنس
الله تعالى بعلمه دون خلقه ، فكهما الساعة ، ووقت طلوع
الشمس من المغرب . . . الخ .
وبهذا القول ، قال الجويني والرازي من الأشاعرة ، والزجاج
وأبو منصور من اللغويين ، وأبو بكر الأصب من المعتزلة .
وهي بعض المتأخرين أن آيات الصفات من التشابه .
ذكر هذا الرأي ابن تيمية ونسبه الى بعض المتأخرين (١)
وذكره الشيخ محصود الألوسي ، في تفسيره الآية —————
آل عمران ، .

والقول بأن آيات الصفات من التشابه لا يتفق مع مذهب
السلف فيها [كما ذكر ذلك الشيخ الألوسي ، تعقبا على ما
هذا القول ، حيث قال *
(المعروف في ما يسهل)

(. . .) ومذهب السلف ، والأشعري — رحمه الله تعالى —
من اعيانهم — كما دلت على حاله الابانة — أنها صفات ثابتة
وراء المقل ، ما كلفنا الا اعتقاد ثبوتها مع اعتقاد عدم التجسيم
والتشبيه ، لئلا يضاد النقل المقل (٢)

(١) لعل ابن تيمية يقصد بالتأخرين ، بعض الأشاعرة .

(٢) الألوسي " روح المعاني ٢ / ٨٧

ومع ذلك فيمكن الجمع بين القولين والتوفيق بينهما طالما كان الجمع ممكنًا .
وابن تيمية - رحمه الله - قد ذكر كلما في هذا الموضوع يمكننا
أن نعتبره جمعا بين القولين السابقين في موضوع الصفات ، فهو يرى أن بين
الصفات التي وصف الله بها نفسه ووصف بها بعض خلقه ألفاظا ومعاني
بينهما قدر مشترك ، وقدر فارق هو مراد في كل منهما ، ونحن لا نعريف
الفارق الذي امتاز به الرب سبحانه ، فصرتا نعرفه من وجه دون وجه
(فالمعنى الذي . . .) يراد به في حق المخلوقين لا يجوز أن يكون
نظيره ثابتا لله . مثال ذلك الاستواء ، حيث وصف الله به نفسه
ووصف به بعض خلقه ، يقول ابن تيمية "

(قوله - تعالى - " ثم استوى على العرش) فانه قد قال (أى في حق
المخلوقين) (واستوى على الجودي) (١) وقال - تعالى - " فاستوى على
سوقه " (٢) وقال - تعالى - " فاذا استويت أنت ومن معك على الفلك " (٣)
وقال - تعالى - " لتستويوا على ظهوره " (٤) فهذا الاستواء كله يتضمن
حاجة المستوى الى المستوى عليه وأنه لو عدم من تحته لخر ، والله
تعالى غنى عن العرش وعن كل شيء ، بل هو سبحانه بقدرته يحمل العرش
وحملة العرش ، وقد روي أنهم إنما أطاقوا حمل العرش لما أمرهم أن يقولوا
" لا حول ولا قوة الا بالله) .

فصار لفظ الاستواء متشابها ، يلزمه في حق المخلوقين معان يتنزه الله
منها ، فنحن نعلم معناه ، وأنه الصلوة والاعتدال ، لكن لانعلم الكيفية
التي انخفض بها الرب ، التي يكون بها مستويا من غير افتقار منه الى العرش
بل مع حاجة العرش وكل شيء محتاج (إليه) من كل وجه . وأنا لم نعهد
في الموجودات ما يستوى على غيره مع غناه عنه ، وحاجة ذلك المستوى عليه
الى المستوى فصار متشابها من هذا الوجه ، فان بين اللفظين والمعنيين

(١) سورة هود آية (٤٤)

(٢) سورة الفتح آية (٢٦)

(٣) سورة المؤمنون آية (٢٨)

(٤) سورة الزخرف آية (١٣)

قدرا مشتركا وبينهما قدرا فارقا هو ، مراد في كل منهما ، ونحن لانصرف
الفارق الذي امتاز الرب به فصرنا نمرفه من وجه ونجهله من وجهه ،
وذلك هو تأويله ، والأول هو تفسيره . (١) وهذا تفريق جيد وحسن ،
بين معرفة المعنى ، ومعرفة الكيف ، وهذا التفريق من ابن تيمية
يتفق مع تعريفه للتشابه (الخاص) الذي يقابل المحكم (الخاص) الوارد
في سورة آل عمران .

يقول ابن تيمية في تعريفه للتشابه (الخاص) "
(والتشابه الخاص هو " مشابهة الشيء لغيره من وجه مع مخالفته له
من وجه آخر ، بحيث يشتبه على بعض الناس أنه هو أو هو مثله وليس
كذلك) (٢) والامام محمد عبده - رحمه الله تعالى - يوافق ابن تيمية
في هذا المعنى إذ يقول "

(التشابه إنما يكون بين شيئين فأكثر ، وهو لا يفيد عدم فهم المعنى مطلقا) (٣)
وهذا المعنى الذي اختاره ابن تيمية والامام محمد عبده هو ما ذكره
أبو الحسن الأشعري - رحمه الله تعالى حيث قال فيما ذكره من
البهنادي - (٤) أنه لا بد من أن يكون في كل عصر من العلماء من
يعلم تأويل ما تشابه من القرآن . وعلى هذا يكون التشابه نسبيا فإذا خفي
على بعض العلماء علمه آخرون في أي عصر من المصور .

(١) ابن تيمية تفسير سورة الاخلاص ص ١١١ ، ١١٢ .

(٢) ابن تيمية " التدمرية ضمن مجموعة الفتاوى . ط " الرياض ٦٢ / ٣

(٣) محمد رشيد رضا " تفسير المنار ٣ / ١٦٥

(٤) انظر القول الأول من أقوال الأشاعرة في المحكم والتشابه .

القول الثامن

نسبه أبو الحسن الأشعري إلى (واصل بن عطاء) و (عصرو
ابن عبيد) أن (المحكم) ما أعلم الله سبحانه من عقابه
للفاسق كقوله تعالى " (ومن يقتل مؤمنا متعمدا) (١) وما أشبه
ذلك من آي الوعيد .

و (المتشابه) ما أخفى الله عن الصناد عقابه عليها ولم يبين
أنه يعذب عليها كما بين في المحكم .

وقول واصل بن عطاء ، وعصرو بن عبيد هذا مخالف لما نقل
عن السلف من أن آي الوعيد كلها من المتشابه .
(فقد اشتهر — كما يقول ابن تيمية — عن عامة السلف أن الوعد
والوعيد من المتشابه ، وتأويل ذلك هو معنى الموعود به ، وذلك
لا يأتي به إلا الله) (٢)

ولعل واصل بن عطاء ، وعصرو بن عبيد قد بنوا رأيهما هذا
على اعتقادهما بأن الفاسق مستوجبون للعذاب والخلود في
النار ، وأنه لا تنفعهم شفاعة الشافعين) فيكونون بقولهم
هذا قد وافقوا الخوارج في الحكم الأخرى على مرتكب الكبيرة
من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وإن كانوا قد خالفوا الخوارج
في أحكام الدنيا بأن جعلوا مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين .
ولا اعتبار لقولي الممترلة والخوارج ، لا في الحكم الدنوي
ولا في الحكم الأخرى على مرتكب الكبيرة ، لمخالفتهم نصوص الكتاب
والسنة ، الدالة على أن الفاسق تحت مشيئة الله أن شاء غفر له ،
وأن شاء عذبه ، وأنه إن دخل النار فليس يخرج منها إذا كان موحدا .

(١) سورة النساء آية (٩٣)

(٢) ابن تيمية " تفسير سورة الاخلاص ص ١٣٠

وأما تعريفهما للتشابه " بأنه ما أخفى الله عن المباد عقابه عليهما
... الخ فهو - في نظري - يدور ^{حول} فكرتهما السابقة في المحكم ، ونسبي
حكمهم على مرتكب الكبيرة ، لئلا يدوا به رأيهم في ذلك الحكم . والا فان ما
أخفاه الله عن المباد أكثر من أن يكون مجرد إخفاء العقاب على بعض الأمور
كما يزعمسون .

وبعد أن اتضح لنا في هذا البحث أن الآراء في المحكم والتشابه صارت
ثمانية بعد حذف المكرر بين الفرق منها ، وبعد مناقشتنا لتلك الآراء ،
لم يبق أمامنا غير (بيان الراجح منها) وقد رأيت أن أوجل بيانه النسبي
ما بعد البحث الرابع الذي سنخصصه لبحث معنى (التأويل) في القرآن
وفي اللغة وفي اصطلاح العلماء حتى تتبين معانيه المراد ، فقد يساعدنا
معرفة معنى التأويل المقصود في آية آل عمران على (بيان الراجح) من
أقوال العلماء في المحكم والتشابه . والله أعلم .

((المبحث الرابع))

فسي

((التأويل))

ذكرنا معنى الحكم والتشابه وآراء العلماء في ذلك ، في المبحث السابق ،
وننتقل في هذا المبحث ، لبيان معنى (التأويل) وسيتناول الكلام فيه
ما يأتي " —

أولا " ورود لفظ (التأويل) في القرآن والمعنى المراد منه .

ثانيا " معنى (التأويل) في اللغة وفي اصطلاح العلماء .

أولا "

ورود لفظ " (التأويل) في القرآن الكريم .

ورد لفظ (التأويل) في القرآن الكريم في سبع سور ، وتكرر
في خمسة عشرة آية من هذه السور ، بالإضافة إلى أن لفظ (التأويل)
تكرر في بعض هذه الآيات أكثر من مرة .

السورة الأولى "

وأول سورة ورد لفظ (التأويل) فيها هي " سورة آل عمران

وهي موضع الخلاف بين العلماء قال تعالى "

(. . .) فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشاء منه ابتغاء الفتنة

وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون

آمنّا به كل من عند ربنا (الآية (١))

السورة الثانية

سورة (النساء) قال تعالى "

(يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً) (١)
قال ابن كثير ، والجلالان في معنى قوله تعالى " (وأحسن تأويلاً) أى أحسن عاقبة ومآلاً " (٢) .
وورد في حاشية الجمل على الجلالين قوله " (مآلاً) أى " فالتأويل هنا بمعنى (المآل والمآقبة ، لا بمعنى التفسير والتبيين ،
فله اطلاقان " (٣) .

السورة الثالثة

سورة (الأعراف) قال تعالى "

(هل ينظرون الا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق (٠٠٠) الآية (٤)
(التأويل) في هذه الآية بمعنى المآقبة والمآل .
يقول ابن كثير في قوله تعالى " (هل ينظرون الا تأويله) " أى ما وعدوا به من العذاب والنكال ، والجنة والنار
(يوم يأتي تأويله) أى يوم القيامة " (٥) .

السورة الرابعة سورة (يونس) قال تعالى "

(بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله) الآية (٦)
قال في تفسير الجلالين " (ولما يأتهم تأويله) أى عاقبة ما فيه

(١) سورة النساء آية ٥٩

(٢) ابن كثير " التفسير ٥١٨ / ١ ، والجلالين ٣٩٥ / ١ مسج الجمل

ط " ١٣٧٩ هـ ، وابن تيمية " تفسير سورة الاخلاص ص ١٠٣ ،

والزمخشري " الكشاف ٣٦ / ١

(٣) حاشية الجمل " الفتوحات الالهية ٣٩٥ / ١

(٤) سورة الأعراف آية ٥٣

(٥) ابن كثير ، التفسير ٢٢٠ / ٢ ، وابن تيمية " تفسير سورة الاخلاص ص ١٠٣

وتفسير الجلالين مع حاشية الجمل ١٤٨ / ٢ ، والزمخشري " الكشاف ٨٢ / ٢

(٦) سورة (يونس) آية (٣٩)

من الوهميد ، وقد روى ابن تيمية هذا من الضحاك • (١)
(فالتأويل) في هذه الآية كسابقها بمعنى العاقبة والمآل •

السورة الخامسة

سورة (يوسف) عليه الصلاة والسلام •

وقد تكرر لفظ (التأويل) فيها في ثمان آيات هي :-

قوله تعالى

مخبرا عن قول يعقوب لابنه يوسف عليهما الصلاة والسلام
(وكذلك يجتهدك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث) الآية •

وقوله تعالى

(وكذلك مكنا ليوسف في الأرض ولنعلم من تأويل الأحاديث)

وقوله تعالى

(ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما اني أراني أعصر
خمرا وقال الآخر اني أراني أحمل فوق رأسي خبزا تأكل
الطير منه نبتنا بتأويله انا نراك من المحسنين • قال لا يأتيكما
طعام ترزقانه الا نباتكما بتأويله قبل ان يأتيكما) الآية •

وقوله تعالى

(قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بحالين ، وقال
الذي نجا منهما وادكر بعد أمة انا أنبئكم بتأويله فأرسلوه)

وقوله تعالى

في خطاب يوسف لأبيه عليهما الصلاة والسلام
(ورفع أبوه على المرش وخرخوا له سجدا وقال يا أبت هذا
تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا) الآية •

وقوله تعالى

حكاية من يوسف عليه الصلاة والسلام
(رب قد آتيتني من الملك ولعلني من تأويل الأحاديث) (٢)

(١) تفسير الجلالين مع حاشية الجمل ٣٥٠/٢ ، وابن تيمية
تفسير سورة الاخلاص ص ١٠٢ ، والزمخشري " الكشاف ٢٣٨/٢ •

(٢) الآيات من سورة يوسف عليه الصلاة والسلام على الترتيب ٦ ،

(٢١ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ١٠٠ ، ١٠١)

(فالتأويل) الوارد في سورة يوسف عليه الصلاة والسلام المتعلق بالرؤيا •
 بمعنى " (التفسير والبيان) من غير خلاف بين المفسرين كما فيما أعلم — (١)
 ماعدا قوله تعالى من تلك السورة "
 (قال لا يأتيكما طعام ترزقانه ٠٠٠) الآية فقد ذكر المفسرون فيها قولين —
 " الأول " بمعنى " التفسير • والثاني " بمعنى " العظمة والكيفية (أى الحقيقة^(٢))

السورة السادسة

سورة (الاسراء) قوله تعالى "

(وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسط المستقيم ذلك خير
 وأحسن تأويلا) (٣)
 أى أحسن مالا وعاقبة • (٤)

السورة السابعة

سورة الكهف •

وقد ورد لفظ (التأويل) فيها بمعنى التفسير في آيتين منها هما "
 قوله تعالى "
 (قال هذا فراق بينى وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا)
 وقوله تعالى "
 (وأما الجدار فكان لفلانين يقيمون في المدينة وكان تحته كنز
 لهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغنا أشدهما ويستفرجا
 كثرهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمرى ذلك تأويل ما لم تستطع
 عليه صبرا) (٥)

(١) ابن كثير " التفسير ٤ / ٤٦٦، ٤٧٣، والجلالين مع حاشية

الجل ٢ / ٤٣٥، ٤٤٣

(٢) ابن كثير " التفسير ٢ / ٤٧٨، وتفسير الجلالين مع حاشية الجل
 ٢ / ٤٥٣، والزمنشري " الكشاف ٢ / ٣٢٠ ط " الحلبي ١٢٨٥

أى هذا تفسير ما ضقت به ذرعا ولم تصر حتى أخبرك به ابتداء" (١)
 ويتضح لنا مما تقدم من الآيات التي ورد فيها لفظ (التأويل) وأقوال العلماء
 في تفسيرها أن لفظ (التأويل) الوارد في القرآن الكريم قد استعمل في معنيين "
الأول"

التفسير والبيان ، كما هو واضح من الآيات الواردة في سورة يوسف عليه
 الصلاة والسلام من غير خلاف بين العلماء — فيما أعلم — ما عدا
 قوله تعالى فيها (قال لا يأتكما طعماء ترزقانه الا نهأتكما بتأويله)
 حيث ورد فيها من المفسرين قولان تقدم ذكرهما •
 كذلك ما ورد في سورة الكهف من لفظ (التأويل) أن المراد به
 التفسير وقد سبق ذكر الآيات بمعناها بما يخفى عن أعادته هنا مرة
 أخرى •

أما المعنى الثاني " من معاني لفظ (التأويل) الوارد في القرآن الكريم فهو
 الصاقبة والمآل ، والمرجع ، والمصير ، كما ورد في الآيات
 — المتقدمة — من سورة النساء ، والأعراف ، ويونس ، ويوسف
 في قوله تعالى (قال لا يأتكما طعماء ترزقانه الا نهأتكما
 بتأويله) بالأخذ بقول بعض المفسرين بأن المراد بالتأويل
 فيها (الحقيقة) إذ لعل المفسرين يرون الحقيقة والصاقبة
 والمرجع والمصير متداخلين إذ أن لكل حقيقة مآلا ومرجما
 ولكل مآل حقيقة • والملم عند الله •
 ولم يرد ذكر الآية سورة آل عمران في أى من المعنيين
 السابقين ، وقد أجلنا الكلام عنها والمراد (بالتأويل) فيها
 حتى نستوفي الكلام عن معنى (التأويل) في اللغة وفسي
 اصطلاح العلماء الذي سننتقل الى البحث فيه •

(١) ابن كثير " التفسير ٣ / ٩٨ ، ١٠٠ ط " الحلبي •

ثانياً

معنى (التأويل) في اللغة وفي اصطلاح العلماء ،

اتضح لنا ما تقدم أن لفظ (التأويل) الوارد في القرآن الكريم لا يخلو عن واحد من معنيين ، هما " التفسير والبيان ، أو الحاقبة والعآل ، وهنا - تحت هذا العنوان (معنى التأويل في اللغة) - لم يكن هدفنا التعرف - ابتداءً على معنى (التأويل) لأن القرآن الكريم قد نزل بلغة العرب ، فلا يمكن أن يكون هناك خلاف بين معنى لفظة ما وردت في القرآن الكريم ، ووردت في اللغة العربية ، ولكن المدف من البحث من معنى (التأويل في اللغة) هو التعرف عما اذا كان هناك معان أخرى غير ما ذكرناه سابقاً .

اذ أنه ربما يكون للكلمة في اللغة عدة معان ، والقرآن الكريم قد استعمل واحداً أو اثنين من تلك المعاني دون بقية المعاني . واللغة العربية - كغيرها من اللغوم - قد دونت وحفظت في مؤلفات سميت " (معاجم اللغة) وتماهدا علماء اللغة بالتأليف والجمع في مصور مختلفة ، ولكن هذه اللغة ليست كغيرها من اللغوم ، فهي غير قابلة للاجتهاد ، بل يتوقف البحث والتأليف فيها على سماعها من العرب قبل فساد اللسان العربي بالاختلاط بالأعاجم من الأمم الأخرى .

ومن أقدم تلك المعاجم كتاب (تهذيب اللغة) لأبي منصور محمد ابن احمد الأزهرى القوفى سنة ٣٧٠ هـ ، أى في القرن الرابع الهجرى . وفيه يذكر أبو منصور من ثملب عن ابن الأعرابي " أن الأول

بمعنى " الرجوع " من آل يؤول أولاً .

وقال الأصممي " آل القطران يؤول ، أولاً إذا خثر .

وآل ماله يؤوله ايلة ، اذا أصله وساسه .

ويستشهد الأصمعي بقول ليسند "
 بصبح صافية وضرب كرهتة بمؤثر تأتال له ابهامها
 والشاهد في البيت قوله (تأتال)
 يقول الأصمعي " انما هو (تفتلمه) من (أته) أى أصلته .
 ويقال " طبخت النبيذ حتى آل الى الثلث ، أو الربع " أى رجع .
 وآل لحم الناقة " اذا ذهب ، وقال الأمشي "
 أكلتها بمسد المراح قال من أصلا بها
 أى ذهب لحم صلبها .
 وقال الليث " الأيل " الذكر من الأوعال ، والجمع الأيائل .
 قال " وانما سى ، أملا ؛ لأنه يؤول الى الجبال يتحصن بهـ (١)
 وينقل ابن فارس في (مقاييس اللغة) هذه المعاني المتقدمة ويذكر بيتا
 للأمشي شاهدا على دعواه ، فيقول "
 زوال يؤول " أى رجع . قال يعقوب " (أول الحكم الى أهله ، أى أرجعته
 وردء المهم .
 قال الأمشي " (أوؤل الحكم الى أهله)
 وآل جسم الرجل اذا نحف . أى رجع الى تلك الحالة .
 ويقول ابن فارس " ومن هذا الباب " تأويل الكلام ، وهو عاقبته وما يؤول اليه
 وذلك قوله تعالى " (هل ينظرون الا تأويله) يقول " ما يؤول اليه في وقت
 بعثهم ونشورهم (٢)

(١) الأزهرى " تهذيب اللغة ٤٣٧/١٥ وما بعدها . دار الكاتب العربي ١٩٦٢م
 بتحقيق الاستاذ " ابراهيم الايبارى .
 (٢) ابن فارس " مقاييس اللغة ١٥٩ / ١ وما بعدها مادة (أول) دار احياء الكتب
 العربية تحقيق عبد السلام محمد هارون . ط . الأولى ١٣٦٦ هـ

ونصود مرة أخرى الى تهذيب اللغة للأزهري حيث يذكر لنا أنوالاً أخرى تؤكد لنا أن التأويل بمعنى المرجع والمصير . يقول أبو منصور الأزهري " وأما قوله تعالى "

(هل ينظرون الا تأويله يوم يأتي تأويله) (١)

قال أبو اسحاق " معناه " هل ينظرون الا ما يؤول اليه أمرهم من البعث قبل " وهذا التأويل هو قوله عز وجل " (وما يعلم تأويله الا الله) ، أي لا يعلم متى يكون أمر البعث ، وما يؤول اليه الأمر عند قيام الساعة الا الله ، (والراسخون في العلم يقولون آمنا به) (أي " آمنا بالبعث .

قال الأزهري " قلت " وهذا الذي قاله حسن .

وقال أبو عبيد في قول الله تعالى " (وما يعلم تأويله الا الله)

التأويل " المرجع والمصير ، مأخوذ من آل يؤول الى كذا ، أي . صار اليه . وأولته " صيرته اليه .

واستشهد أبو عبيد على قوله هذا بقول الأعشى "

على أنها كانت تأول حبسها تأول يحيى السحاب فأصبحها

يعنى أن حبسها كان صغيراً فقل الى العظم ، مثل السقب يكون صغيراً ثم يشب حتى يصير مثل أمه . (٢)

وهذا المعنى المتقدم للفظ (التأويل) الذي ذكره أبو منصور الأزهري

في كتابه (تهذيب اللغة) وذكره ابن فارس في كتابه (مقاييس اللغة)

بأن معناه (المرجع والمصير) قد اتفقت عليه جميع المجامع اللغوية سواء ما كان منها مؤلفاً في القرن الرابع الهجري مثل كتابي الأزهري ، وابن فارس المتقدمين والصحيح للجوهري ، أو ما كان متأخراً في القرن

(١) سورة الأعراف آية ٥٣

(٢) الأزهري (أبو منصور محمد بن أحمد) " تهذيب اللغة ١٥ / ٤٥٨ - ٤٦٠

تحقيق الاستاذ ابراهيم الايباري . دار الكاتب العربي ١٩٦٧ م

السابع الهجرى مثل القاموس المحيط ولسان العرب ، وتلج المروس : (١)
ونستعرض هذه المعاجم مرة أخرى للتفقيب عن معان أخرى في اللغة للفظ
(التأويل) ونبدأ بتهذيب اللغة للأزهري القوفي سنة ٣٢٤ هـ حيث نجد
يذكر معنى آخر (للتأويل) وهو " التفسير " .
يقول الأزهري "

وسئل أحمد بن يحيى عن (التأويل) فقال " التأويل ، والتفسير ، والمعنى ،
واحد ، قلت أى "الأزهري" - ألت الشئ " جمعه وأصلحه ، فكان (التأويل)
جمع معان مشكلة بلفظ واضح لا اشكال فيه .
قال الليث "

التأويل والتأويل " تفسير الكلام الذى تختلف معانيه (٠٠٠) وأنشد
نحن ضربناكم على تنزيهه فالهوى ضربكم على تأويله . (٢)
وقد ذكر هذا المعنى الجوهري في كتابه (الصاح) فقال
التأويل " تفسير ما يؤول اليه الشئ " ، وقد أولته ، وتأولته تأولا بمعنى . (٣)
وذكره أيضا الفيروز آبادي في كتابه (القاموس المحيط) وابن منظور في كتابه
(لسان العرب) والزبيدي في كتابه (تاج المروس) (٤)

-
- (١) الجوهري (اسماعيل بن حماد) " الصاح ١٦٢٨/٤ مادة (أول) تحقيق
الاستاذ أحمد عبد الفخر عطار . دار الكتاب العربي بمصر .
والفيروز آبادي " القاموس المحيط ٣٣١/٣ مادة (أول) مطبعة السعادة بمصر
وابن منظور " لسان العرب ٣٢/١١ مادة (أول) دار بيروت للطباعة والنشر
والزبيدي " تاج المروس ٢١٤/٧ ، ٢١٥ مادة (أول) ط " الأولى ١٣٠٦ هـ
(٢) الأزهري " تهذيب اللغة مادة (أول) ٤٥٨ / ١٥
(٣) الجوهري " الصاح مادة (أول) ١٦٢٧/٤ تحقيق أحمد عبد الفخر عطار
(٤) الفيروز آبادي " القاموس المحيط مادة (أول) ٣٣١/٣ مطبعة السعادة بمصر .
وابن منظور " لسان العرب . مادة (أول) ٣٣/١١ دار بيروت للطباعة والنشر
والزبيدي " تاج المروس مادة (أول) ٢١٥ / ٧ ط " الأولى ١٣٠٦ هـ

غير أن ابن منظور ، والزبيدي قد ذكرا في كتابيهما (لسان العرب) (تاج المروس) معنى ثالثا للفظ (التأويل) ولكنهما ذكرا هذا القول من لا يحتاج بهم في اللفظة إذ أنهم ليسوا رواة لفة لأنهم وجدوا في عصر متأخرة ، وأقدم هؤلاء المنقول منهم هذا المعنى هو ابن الجوزي الحنبلي المتوفي في القرن السادس الهجري . فقد ذكر ابن منظور في كتابه (لسان العرب) عن ابن الأثير (سنة ٤٤٠هـ / ١٠٦٠م) (أن المراد بالتأويل " نقل ظاهر اللفظ من وضعه الأصلي إلى ما يحتاج إلى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ ") (١)

والزبيدي ذكر هذا المعنى للتأويل فقال

(وفي جمع الجوامع) — للسبكي — هو " حمل الظاهر على المحتمل المرجوح ، فان حمل لدليل فصحيح ، أو لما يظن دليلا ففاسد ، أو لا شيء فلمب لا تأويل . وقال ابن الكمال " التأويل " صرف الآية من معناها الظاهر إلى معنى تحتمله إذا كان المحتمل الذي يصرف إليه موافقا للكتاب والسنة . . .

وقال ابن الجوزي " التأويل " نقل الكلام عن موضعه إلى ما يحتاج فيه إثبات إلى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ (١٠٠هـ / ١٦٠٠م) (٢)

والذي يبدو أن ما ذكره ابن منظور والزبيدي من هذا المعنى (للتأويل) إنما ذكره استطرادا ، لأنه من معانيه اللغوية ، لما قد منبأ ، من أن هؤلاء العلماء المنقول منهم ذلك المعنى لم يصرفوا برواية اللفظة عن العرب ، ولم يشتغلوا بها ، بل كانوا بين فقيه أو أصولي ، بالإضافة إلى أن هذه الأقوال لم يورد لها أصحابها شواهد من كلام العرب أو من أشعارهم ، وبما يؤكد لنا هذا الاتجاه أن ابن الجوزي نفسه — وهو أحد من نقل عنهم الزبيدي هذا المعنى الاصطلاحي — قد قال في تفسيره (زاد المسمر) عند الكلام في معنى التأويل، قال ابن الجوزي عند ذلك ما نصه "

(١) ابن منظور " لسان العرب " مادة (أول) ٣٣/١١ دار بيروت للطباعة والنشر وابن الأثير " النهاية في غريب الحديث ١ / ٨٠ ط " الحلبي ١٣٨٣هـ
١٩٦٣ م

(٢) الزبيدي " تاج المروس " مادة (أول) ٢ / ١٥ ط " الأولى سنة ١٣٠٦هـ

وفي التأويل وجهان " احدهما " التفسير .

والثاني "

المأقبة المنتظرة (١) .

وهذا القول من ابن الجوزي لمعنى (التأويل) الذي ذكره في تفسيره — وهو يخالف ما نقله عنه الزبيدي — يبدو أنه يريد به المعنى اللغوي (للتأويل) لأنه هو الذي يذكره المفسرون إذا أرادوا ذكر المعنى اللغوي (للتأويل) فالرازي — مثلاً — يقول في التفسير الكبير "

(التأويل) هو التفسير ، وأصله في اللغة ، المرجح والمصير ، من قولك " آل الأمر إلى كذا ، إذا صار إليه بواوكة تأويلاً ، إذا صيرته إليه ، هذا ، معنى التأويل في اللغة " (٢) .

وهذا المعنى الذي ذكره كل من ابن الجوزي ، والرازي ، والذي ذكره أصحاب المعاجم اللغوية ، هو الذي ذكره ابن جرير الطبري في تفسيره ، وهو أسبق من هؤلاء جميعاً ، إذ أنه عاش فيما بين عام (٢٢٤ - ٣١٠ هـ) حيث قال في ذلك : " (وأما معنى (التأويل) في كلام العرب ، فانه التفسير ، والمرجع والمصير) (٣) "

وانشد بيت الأعمى — المتقدم — (على أنها كانت تأويل حبها ٠٠٠)

ونستنتج من هذا البحث أمرين "

الامر الأول "

أن المعاجم اللغوية قد اتفقت على أن لفظ (التأويل) يستعمل في معنيين "

(١) ابن الجوزي " زاد المسير ١ / ٣٥٤ منشورات المكتب الاسلامي ، دمشق

(٢) الفخر الرازي " التفسير الكبير ٧ / ١٨٨ الطبعة الأولى .

(٣) ابن جرير الطبري " جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير

الطبري) ٦ / ٢٠٤

الأول

التفسير والبيان

الثاني

المرجع والصير

وهذان المعنيان هما اللذان يذكرهما المفسرون في تفسيرهم للفظ (التأويل) على أنهما المعنى اللغوي كما سبق بيان ذلك عن ابن جرير الطبري ، وابن الجوزي ، والفخر الرازي ، وهذان المعنيان هما اللذان سادا في استعمال السلف للفظ (التأويل) منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، والصحابة والتابعين فقد ورد استعمال الرسول صلى الله عليه وسلم (التأويل) بالمعنيين السابقين ، فمن استعماله صلى الله عليه وسلم (التأويل) بمعنى التفسير قوله صلى الله عليه وسلم دأبها لابن عباس رضي الله عنهما " (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل) (١) ومن استعماله صلى الله عليه وسلم للتأويل بمعنى المرجح والصير ، قوله صلى الله عليه وسلم في بيان قول الله تعالى " (قل هو القادر على أن يبعث عليكم ذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم) (٢) وذلك عندما سئل عن معناها فقال صلى الله عليه وسلم " (أما انها كائنة ولم يأت تأويلها بمصد) أي مآلها وصيرها

والحديث أخرجه الامام احمد بن حنبل في مسنده ، والترمذي ذكر ذلك الحافظ ابن كثير (٣)

وفي قول الله تعالى " (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اعتديتم الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون) (٤)

(١) ابن ماجه : المحدث باب (١١) حديث (١٦٦) محمد بن محمد بن عبد الوهاب
(٢) سورة الانعام آية (٦٥)
(٣) ابن كثير " تفسير القرآن العظيم ١٤٠ / ٢ ط . الحلبي ، وابن تيمية
" تفسير سورة الاخلاص ص ١٠٦ ١٠٧ نظر مستند الامام احمد ٣٨ / ٣ حديث (٤٦٧) ابن كثير
" تفسير سورة الاخلاص ص ١٠٦ ١٠٧ نظر مستند الامام احمد ٣٨ / ٣ حديث (٤٦٧) ابن كثير
(٤) سورة المائدة آية ١٠٥

قال عبد الله بن مسعود (لم يجئ تأويل هذه بعد ، فان القرآن الكريم أنزل
حيث أنزل ومنه آى قد مضى تأويلهن قبل أن ينزلن ، ومنه آى قد وقع تأويلهن
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومنه آى قد وقع تأويلهن بعهد
النبي صلى الله عليه وسلم يسير ، ومنه آى يقع تأويلهن بعد اليوم ، ومنه
آى تأويلهن عند الساعة ، ماذكر من الشعة ، ومنه آى يقع تأويلهن يوم الحساب
ماذكر من الحساب والجنة والنار ، فما دامت قلوبكم واحدة ، وأهواؤكم واحدة ،
ولم تلبسوا شيئا ، ولم يذق بعضكم بأس بعض فأمرؤا ونهوا ، وإذا اختلفت القلوب
والأهواء ، والبستم شيئا ، وذاق بعضكم بأس بعض فأمرؤ ونهوا ، وعند ذلك
جاء تأويل هذه الآية (١)

فكلام عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن هذه الآية يدل على أن تأويل
الآية (يا ايها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اعتديتم) الآية
هو وقوع الاختلاف بين المسلمين بحيث يصبحون شيئا يذيق بعضهم بأس
بعض ، ووقع هذه الأمور انما يكون شاهدا وواقعا حقيقة وهو المرجع والعصير
الذى ينتظر في يوم (ما) لا تفسيرا لعمان وألفاظه .

الأمر الثاني

من نتائج هذا البحث اللغوى ، اننا قد وجدنا المالم من
" ابن منظور ، والزبيدي ، قد ذكرا في كتابيهما " (لسان العرب)
(تاج المروس) معنى ثالثا للفظ (التأويل) وهو " نقل الكلام
من موضعه الى ما يحتاج في اثباته الى دليل لولاه ما ترا ظاهرا
اللفظ .

(١) ابن كثير " تفسير القرآن العظيم ٢ / ١٠٩ ، ١١٠ .

وابن تيمية " تفسير سورة الأخراس ص ١٠٦ .

ومما يجدر ذكره أن ابن منظور ، والزبيدي قد انفردا من بين سائر المعاجم اللغوية بذكر هذا المعنى الثالث ، ولم يذكره عليه دليلا من كلام العرب ، سواء كان شعرا أو نثرا ، كما فعلا في المعنيين المتقدمين ، بالإضافة إلى أن هذين المالين (ابن منظور ، والزبيدي) متأخران في الزمن فانهما عاشا في القرن السابع الهجري .

كما أن من نقل عنه هذا المعنى مثل " ابن الجوزي ، والسبكي وابن الكمال وغيرهم ليسوا ممن يحتج بهم في اللغة ولم يكونوا رواة لغة بل كانوا ما بين فقيه أو أصولي أو متكلم . وعلى الرغم من كل ما تقدم فقد كتب لهذا المعنى الذبيوع والانتشار بين الفقهاء والأصوليين والمتكلمين ، واستعملوه على أوسع نطاق بحيث أصبح هو المتبادر إلى الذهن عند سماع لفظ (التأويل) والتماريف عليه بينهم وأخذ طريقة إلى معاجم اللغة المتأخرة السابقة الذكر ، وقد تتوسي معه الممنهان المذكوران في معاجم اللغة المتقدمة في القرن الرابع ؛ وما قبله ، والذان كانا معروفين في استعمالات الصحابة والتابعين دون غيرها من المعاني وأصبح هذا المعنى — أعني — صرف اللفظ من ظاهره . . الخ . هو المعنى الاصطلاحي بين العلماء المتأخرين دون علماء السلف .

ومما يتعلق بهذا البحث ما ذكره الاستاذ (محمد السيد الجليلي) في كتابه (الإمام ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل) من وضع اللسان الأولى على نشأة هذا المعنى الاصطلاحي الذي فطى على المعنى اللغوي فيقول " .

((ان استعمال (التأويل) بهذا المعنى ، كما يبدو لي نشأ تحت ظروف عقائدية خاصة ، وأخذ ينمو هذا الاستعمال تحسنت أعين حارسة عليه تحوطه وترعاه بعنايتها حتى كبله الذبيوع والانتشار

ولو ألقينا نظرة فاحصة في تاريخ الفرق السياسية والكلامية، وخاصة في ظروف نشأة الشيعة والباطنية ٠٠٠ فربما وجدنا بداية الطريق .
وإذا ألقينا نظرة على معتقدات هذه الفرق ، وخاصة على ما أسعوه بعلم الظاهر والباطن ، وما وضعوه من مصنفات حول هذا العلم فقد نجد ما يقوى هذا الافتراض .

وإذا علمنا أن هناك أثرا تكرر كثيرا في كتب الشيعة وهو (لكل ظاهر باطن ولكل تنزيل تأويل) ألا نكون بذلك قد وضعنا يدنا على بداية الطريق ؟ لقد تردد الأثر المذكور في كثير من المصنفات الاسماعيلية ، وخاصة في كتب القاضي الفاطمي (النعمان بن حنيفة التميمي) مثل (أساس التأويل) و (تأويل الدعائم) وتكرر أيضا في كتب المتصوفة ، فنجد عند الغزالي في (الاحياء) و (المشكاة) مرفوعا الى علي بن ابي طالب . وعند الشيعة مرفوعا الى الامام جعفر الصادق .

ولو وضعنا الأثر أمام أعيننا ، ووضعنا بجانبه التعريف الاصطلاحي (للتأويل) لوجدنا الشبه واضحا ، والعلاقة قوية بين (التأويل) بمعنى الاصطلاحي ، وبين الأثر المتردد على ألسنة الشيعة والصوفية السابق ذكره . فهنا ظاهر ، وباطن ، وتنزيل ، وتأويل .

وفي التأويل الاصطلاحي . ظاهر غير مراد ، وباطن مراد . يجب البحث عنه ، فالقول بالباطن هو الأساس الذي وضع لأجله تعريف (التأويل) بهذا المعنى . ومن هنا استطاع الباطنية أن يستغلوا (التأويل) بهذا المعنى أسوأ استغلال مستعدين في ذلك السي الأثر المذكور (لكل ظاهر باطن ، ولكل تنزيل تأويل) ، ووضعوا قواعد عقائدهم تحت ستار علم الباطن ، بعيدا عن أمين الظاهر المعروف به اللفظ .

وعلى الرغم من أن الأستاذ الجليل لا يملك أدلة حاسمة تؤكد له قوله هذا - كما يقول هو ذلك - إلا أنه لا يشك في (أن النصب الأكبر في ذلك يرجع إلى الدور الذي قام به أصحاب الاتجاه الباطني من الصوفية والشيعية ، يشاركون في هذا كثير من الفرق الذين نادوا بفكرة الإمام المعصوم ، الذي يؤتى من لدنه تأويل التنزيل ، فلقد ساهم هؤلاء جميعاً في شمول استعمال (التأويل) بهذا المعنى ، واختاروا لشمول آرائهم وذيوعها الشخصيات التي يحسن المسلمون الظن بهم مصوبين بذلك سهامهم إلى ظواهر الشرع فأبطلوها ، وإلى كتاب الله نعرفوه (١٠١ هـ) (١)

وإذا أضفنا إلى كلام الأستاذ الجليل ما قام به علماء البلاغة من التوسع في التأليف ، وتقسيمهم الكلام إلى حقيقة ومجاز ، وتصريفهم المجاز بأنه " استعمال اللفظ في غير ما وضع له لقربة ، فإنا نجد أن عمل البلاغيين هذا قد ساهم إلى حد كبير في انتشار هذا المعنى الاصطلاحي لمعنى (التأويل) بدرجة أصبح معها هو التعريف عليه ، والتبادر إلى الذهن عند سماع كلمة (التأويل) . فصرف اللفظ عن ظاهره للمعنى المرجوح في المعنى الاصطلاحي (للتأويل) يشبه إلى حد كبير تعريف المجاز " بأنه استعمال الكلمة في غير ما وضعت له لقربة .

ولم يكن الهدف من كل ما تقدم حول هذا المعنى الاصطلاحي المخالف للمعنى اللغوي ، ولما ورد في القرآن الكريم من معنى (التأويل) لم يكن الهدف من ذلك إنكار هذا المعنى ، أو الحظر من استعماله ، بل كان الهدف هو التعرف على نشأته ، وبيان الظروف التي ساعدت على انتشاره ، حتى أنه تنوسي معه المعنى الحقيقي (للتأويل) كما ورد في اللغة ، وفي القرآن الكريم ، أن طائفة من الناس - مشايخ كالنقهاء ، والأصوليين - إذا ما اصطالحوا على تعريف بينهم ، فلا يمسأب عليهم ذلك ، ولا يحترض عليهم فعلهم ، شريطة أن لا يكون ذلك الاصطلاح مفروضاً على غيره من المعاني الأساسية التي وردت في اللغة أو نسي القرآن الكريم ، كما أريد لهذا المعنى الاصطلاحي (للتأويل) أن يكون .

(١) محمد السيد الجليل " الإمام ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل

ولكننا اذا ما اردنا أن نعمم هذا التعريف الاصطلاحي (للتأويل) وأن نجعله قاعدة ~~لتفسير~~ عليها في فهم كثير من الآيات والأحاديث على أنه هو المراد (بالتأويل) فانه ربما يجرنا الى القول بما نقله عن الفلاسفة من أن ظواهر الشرع غير مرادة بوانما هي تخيل للحقائق ليستفح بها الجمهور ، بالرغم من أن أحدا من الذين قالوا بهذا التعريف الاصطلاحي (للتأويل) وهو صرف اللفظ عن ظاهره الى معنى آخر لم يذهب الى هذا الرأي ، ولم يقل به .
والنتيجة الأخيرة التي نخرج بها من هذا البحث هي أن (للتأويل) ثلاثة ممان هي "

المعنى الأول "

التفسير والبيان ، وهذا المعنى ورد في اللغة وفي القرآن الكريم ، واستعمله الرسول صلى الله عليه وسلم في دعائه لابن عباس رضي الله عنهما ، واصطاح عليه السلف مثل ابن جرير الطبري عندما يقول " (تأويل / كذا) أو القول في تأويل الآية .

المعنى الثاني "

المرجع ، والمصير ، والعاقبة ، وهو أيضا معنى ورد في اللغة وفي القرآن الكريم ، واستعمله الرسول صلى الله عليه وسلم في تفسير قوله تعالى " (قل هو القادر على أن يبعث عليكم غدا ٠٠٠) الآية . و استعمله مفسرون مسمود رضي الله عنه في الحديث الوارد عنه في تفسير قوله تعالى " (يا ايها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اعتديتم) الآية .

المعنى الثالث

هو صرف اللفظ عن ظاهره . . . الخ وهو ما اصطلاح عليه المتأخرون ولم يرد هذا المعنى في اللغة أو في القرآن الكريم ، ولم يكن معروفا في عهد الصحابة . ولا القرون الثلاثة الأولى ، بل عرف في عصر متأخرة من القرون المفضلة ، وذلك بعد القرن الرابع تقريباً ، بدليل عدم وجود ذكر له في القرن الرابع الهجري .

وبعد أن اتضح المعنى المراد بلفظ (التأويل) في اللغة ، وفي القرآن الكريم ، وفي الاصطلاح ، نحاول أن نبين المعنى المراد من (التأويل) الوارد في سورة آل عمران والتي قال الله فيها " (فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله) الآية .

هل المراد " وما يعلم تفسيره وبيان معناه إلا الله ؟
أو المراد " وما يعلم ما قبله ورجعه إلا الله ؟
[أو المراد " وما يعلم المعنى المرجوح الخمر الظاهر من اللفظ إلا الله ؟]^(١)

لنتبين ذلك ، ونقف على الحقيقة بقدر المستطاع نمود إلى بيان سبب نزول آية سورة آل عمران ، والقراءة الواردة في تلك الآية .

سبب نزول آية آل عمران

لقد ذكر العلماء أن من فوائد مصرفة أسباب النزول تحديد المعنى المراد من الآية ، وآية آل عمران وهي قوله تعالى " (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات) الآية ذكر العلماء سببين لنزولها "

(١) يحذف ما بين
المعقوفين

السبب الأول

أنها نزلت في اليهود الذين أرادوا أن يعرفوا مدة محمد صلى الله عليه وسلم وأنته من خلال الحروف المقطعة في أوائل بعض السور، وذلك على طريقته في استخدام حساب الجمل في الحروف المقطعة، فتشابه عليهم الأمر لتكرارهم في أوائل سور كثيرة فمجزوا من الوصول إلى غايتهم .
وقد رجح ابن جرير الطبري - رحمه الله تعالى - هذا القول وقال بأنه أشبه بدأويل الآية .

السبب الثاني

قالوا إنها نزلت في وفد نجران لما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم وجادلوه في أمر عيسى عليه الصلاة والسلام ، وأرادوا أن يستدلوا من قوله تعالى " (كلت روح منه) (١) ومن قوله (انا نحن) (٢) على أن الآلهة ثلاثة .
ثم دعاهم الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المباحثات كما قال تعالى " (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبنائكم) الآية (٣) من سورة آل عمران ، وأيا كان السبب في نزول الآية سواء كان ما ابتغته اليهود من معرفة قيام الساعة بواسطة الحروف المقطعة ، أو ما ابتغته النصارى من الاستدلال على أن الآلهة ثلاثة من قوله تعالى " (انا ، ونحن ، وكلت ، روح منه فان الفريقين قد استخدموا في مطلبهم أمرا متشابهة وكان قصدهم سيئا وهو ابتغاء الفتنة بين المسلمين وإيجاد الخلاف

(١) سورة النساء قوله تعالى (انا الصبح عيسى ابن مريم رسول الله وكلت ألقاما إلى مريم روح منه) الآية (١٠٠) الآية (١٧١) (٢) سورة الحجر قوله تعالى (انا نحن نزلنا الذكر واناله لحافظون) الآية (١) وسورة الانسان قوله تعالى " (انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا) الآية (٢٣) (٣) سورة آل عمران الآية (٦١)

بينهم وتحقيق أهدافهم الخاصة بما استدلوا به .
وقد ذكر ابن جرير الرأيين مما تم رجح الرأي القائل بأنها في المهبسود
حيث قال " والذي يدل عليه ظاهر الآية أنها نزلت في الذين جادلوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم بمشابه ما أنزل الله من كتاب اللبس
أما في أمر عيسى ، وما في مدة أكله وأكل أمه ، وهو بأن تكون في
الذين جادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمشابهه في مدته
ومدة أمه أشبه ، لأن قوله (وما يعلم تأويله إلا الله) دال على
أن ذلك اخبار عن المدة التي أرادوا علمها من قبل التشابه الذي لا يعلمه
إلا الله ، فأما أمر عيسى ، وأسبابه فقد اعلم الله ذلك نبيه محمد صلى
الله عليه وسلم وأمه ، وبينه لهم فمعلوم أنه لم يكن به إلا ما كان عليه
خفيها من الأجبال . ١٠١ هـ (١)

ولكن ابن جرير يقول في موضع آخر كلاما يحقق به ما قيل من أن المبرة
بمعوم اللفظ لا بخصوص السبب ، حيث يقول " ١ وهذه الآية وإن كانت
نزلت فيمن ذكرنا أنها نزلت فيه من أهل الشرك ، فإنه معنى بها كل مبتدع
في دين الله بدعة فمال قلبه اليها تأويلاته لبعض مشابهة آي القرآن
ثم حاج به وجادل به أهل الحق ، ودل عن الواضح من أدلة آية المعكمات
إرادته بذلك اللبس على أهل الحق ٠٠٠ الخ (٢)

(١) ابن جرير الطبري " التفسير " ٦ / ١٩٥ ، ١٩٦

(٢) ابن جرير الطبري " التفسير " ٦ / ١٩٨

((الخلاف في الوصف في آية آل عمران))

لقد اختلف الصحابة ومن بعدهم في الوقف في آية آل عمران هل الوقف على قوله تعالى " (وما يعلم تأويله الا الله) أو أن الوقف على قوله تعالى " (والراسخون في العلم) ؟ في المسألة قولان مشهوران الأول " .

الوقف على لفظ الجلالة من قوله تعالى " (وما يعلم تأويله الا الله) وبهذا القول " قالت عائشة رضي الله عنها ، وابن عباس وأبي بن كعب ، وعبد الله بن مسعود ، وعمر بن عبد العزيز ، ومالك بن أنس وغيرهم ، رضي الله عنهم .

الثاني

الوقف على قوله تعالى " والراسخون في العلم " وبهذا القول قال ابن عباس فيما نقله عنه مجاهد أنه قال " أنا من الراسخين الذين يعلمون تأويله ، وقال مجاهد " والراسخون في العلم يعلمون تأويله ويقولون آمنا به ، والريح بن أنس رضي الله عنهم ، وفيهم (١) ومن العلماء من فصل في هذا المقام بما يجمع بين القولين السابقين لا سيما وأن بعض الصحابة كابن عباس ورد عنه القولان معا كما هو واضح فقال " .

(والتأويل) يطلق ويراد به في القرآن معنيان " .

(١) ابن جرير الطبري " التفسير ٦ / ٢٠٢ وما بعدها ، وابن تيمية التدمرية ضمن مجموع الفتاوى ٣ / ٥٤ ، ٥٥ وابن كثير " التفسير

أحدهما

(التأويل) بمعنى حقيقة الشيء ، وما يؤزل أمره ، ومنه قوله تعالى (وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل) وقوله تعالى (هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله) أي حقيقة ما أخبر وابه من أمر المصاد ، فإن أريد به التأويل هذا فالوقف على لفظ الجلالة لأن حقائق الأمور وكنهها لا يعلمها على الحقيقة إلا الله عز وجل ، ويكون قوله " (والراسخون في العلم) مبتدأ (ويقولون آمنا به) خبره .

ثانيهما

وأما ان أريد به (التأويل) المعنى الآخر ، وهو التفسير والبيان والتعبير عن الشيء بكوله تعالى " (نشأ بتأويله) أي بتفسيره فإن أريد به هذا المعنى فالوقف على قوله تعالى " (والراسخون في العلم) لأنهم يعلمون ويفهمون معنى ما خاطبوا به بهذا الاعتبار وإن لم يحيطوا علما بحقائق الأشياء على كنه ما هي عليه (١) وعلى هذا فيكون قوله تعالى " يقولون آمنا به " حالا من الراسخين وهذا قول حسن ورأي جهد يجمع بين القراءتين في الآية والأقوال المنقولة من الصحابة من غير تكلف ولا تمسك .

(١) ابن كثير " التفسير ١ / ٣٤٧ ، وابن تيمية " التدمية ضمن مجموع

فتاوى شيخ الاسلام ٣ / ٥٥

التلضي عهد الجبار " مشابه القرآن ١ / ١٥ ، والمعنى (امجاز

القرآن) ١٦ / ٣٧٦

بسمان الراجح مستن أقوال العلماء فسي

((المحكم والمشابه))

وبعد أن اتضح لنا معنى (التأويل) في القرآن الكريم ، وفي اللغة وفي اصطلاح العلماء ، وبعد أن ذكرنا القول الجامع بين الأقوال بشأن الوقف في آية آل عمران ، يمكننا أن نقول بعد هذا كله " أن (التأويل) في آية آل عمران " يراد به التفسير والبيان على قراءة من عطف (والراسخون في العلم) على لفظ الجلالة ، ويراد به " الحقيقة والمعاقبة والمآل على قراءة من وقف على لفظ الجلالة ، وبناءً على هذا فإن ما تقدم من أقوال العلماء حول تحديد معنى كل من المحكم والمشابه ، وما رأيناه هناك من خلاف بينهم يمكننا الآن أن نتبين أن ما كنا نعتبره خلافاً هناك قد اتضح هنا عدم وجود خلاف بين تلك الأقوال طالما أننا قد استحسنا القول بالتفصيل في المسألة ولأخذ بالمعنيين للفظ (التأويل) وهما التفسير والبيان والحقيقة والمآل والمرجع ، فأخبار القيامة وعلاماتها وما يتعلق بأمر البعث والحساب والجزاء وما يتعلق بالجنة والنار لا يعلمها إلا الله بمعنى لا يعلم حقيقتها ومآلها إلا الله وحده ، فقد انفرد بعلمها جل شأنه ولم يطلع أحداً من خلقه عليها ، ويدخل في هذا قول من قال " أن الصفات من التشابه لأن حقيقة الصفات لا يعلمها على حقيقتها أحد من الخلق كما أن الله تعالى لا أحد يحيط به علماً ، أما تفسير تلك الألفاظ

بسمان الراجح مستن أقوال العلماء
فسي

فلا شك أن كثيرا من العلماء يعلمونها ولا تخفى على كثير من منهم
وقد سمي ابن عباس رضي الله عنه ما عرضه عليه نافع بن الأزرق تشابهاً^(١)
ومع ذلك فقد بين له معانيها وأزال الاشكال الظاهر من اللفظ فالتشابه
بهذا الاعتبار هو تشابه نسبي ، كما قال ابو الحسن الأشعري " لا بد
من أن يكون في كل عصر من العلماء من يعلم تأويل ما تشابه من القرآن .
والتأويل بهذا الاعتبار هو التفسير ، ويدخل تحته حينئذ الأقوال
الأخرى التي ذكرها العلماء مثل قول من قال التشابه ما احتمل
وجوهاً وغير ذلك من الأقوال المقدمة .
وعلى هذا فقد زال الاشكال - في نظري - واتضح المعنى من
اختلاف وجهات نظر العلماء التي ظهرت في تعدد أقوالهم في المحكم
والتشابه حيث يمكن حمل بعض الآراء على التفسير والبيان ، وحمل
البعض الآخر على الحقيقة والمآل والمصير ، والله سبحانه أعلم .

(١) انظر القول الثاني من أقوال ابن عباس في المحكم والتشابه ص ٦٧ / ٦٨

المبحث الخامس

((التفويض))

يقصد بالتفويض في كلام العلماء ، التسليم المطلق والتوكل التام على الله تعالى في جميع الأمور التي يحاول الإنسان الوصول إليها .
أما التفويض في الناحية العلمية فهو إضافة العلم بالشئ الى الله تعالى وذلك عند استقصاء المعنى المراد ، وعدم ادراكه ، فيقول الواحد مننا " الله اعلم ، والتفويض بهذا المعنى من علامات الورع والتقوى ، وقد ضرب الرسول صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى في هذا ، وذلك عندما سأله جبريل عليه السلام ، متى الساعة ؟ فقال عليه الصلاة والسلام " ما المسئول عنها بأعلم من السائل ، فامسك عليه الصلاة والسلام عن بيان وقتها لعدم علمه بذلك . ثم اخبر فقط عن علاماتها .
وقد ورد في كتاب الله آية واحدة اشتملت على كلمة (التفويض) وذلك في سورة فاطر (المؤمن) عندما نصح مؤمن آل فرعون قومه ، ودعاهم الى الايمان بالله تعالى وتوحيده ، والتصديق بالبعث والجزاء ، فلم يستجيبوا له وعجزوا عن قبولهم لدعوته ، واصرارهم على الكفر ، حينئذ لجأ الى الله تعالى فقال " (نستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري الى الله ان الله بصير بالمعصيات) (١)

(١) سورة فاطر (المؤمن) آية (٤٤)

« الفصل الثاني »

« الصفات بوجه عام »

((الفصل الثامن))

((الصفات بوجه عام))

يقسم العلماء صفات الله تعالى الى قسمين (١).

١- صفات خبرية ؛ وهي الصفات التي ورد ذكرها في الخبر سواء كان في الكتاب أو في السنة ، ولم يعم دليل عقلي على ثبوتها ، وسنرجع الكلام عليها الى الفصل الثالث .

٢- صفات معاني ؛ وهي ما انحلت معنى زائدا على الذات ، وقام الدليل العقلي على ثبوتها لله تعالى ، وذلك مثل " الحياة والعلم ، والقدرة ، والارادة ، والسمع ، والبصر ، والكلام ، فالله تعالى ، حي بحياة ، عالم بعلم ، قادر بقدره " .

ولكي نتصرف على رأى ابن الجوزي وموقفه من هذه الصفات ، نعرض أولاً آراء الفرق الأخرى السابقة عليه في هذا الموضوع ، ثم نتبعها برأيه فيما سنرى بعد ذلك الى أى رأى من آراء تلك الفرق يعمل ويعتقد ، وهناك خمس فرق مشهورة سابقة على ابن الجوزي تكلمت في موضوع الصفات وهي " ١- الجهمية ، ٢- المعتزلة ، ٣- الفلاسفة ، ٤- الأشاعرة ، ٥- الكرامية " .

وقد اتخذت هذه الفرق آراء صفات المعاني - من حيث النفي والاثبات - مواقف متباينة ، فانقسمت الى فريقين " أولاً " فريق النفاة وهم " الجهمية ، والمعتزلة ، والفلاسفة " .

ثانياً " فريق المثبتين وهم " الأشاعرة ، والكرامية " .

ونستهل الحديث بتفصيل آراء فريق النفاة فنقول " -

١- هذا القسم غير المتكلمين . اما الذين يقسمون الصفات الى صنفين ذات ومصنفه فصل وهي الصفات الإحصائية ، وهي توقيفية ، وطريق معرفتها الأول هو العقل الصحيح .

١- الجهمية

أتباع الجهم بن صفوان ، وهو لا يرون أنه لا يصح أن يوصف الله تعالى بوصف يجوز إطلاقه على أحد من خلقه ، وينقل لنا البغدادي رأى الجهم في ذلك فيقول " ((٠٠٠)) واحتج - أي الجهم - من وصف الله تعالى ، بأنه شيء أوحى ، أو عالم ، أو مرید ، وقال " لا وصف بوصف يجوز إطلاقه على غيره ، كشيء ، وموجود ، وحي ، وعالم ، ومرید ، ونحو ذلك ٢ ووصف بأنه قادر ، وموجد ، وفاعل ، وخالق ، ومحي ، ومميت ، لأن هذه الأوصاف مختصة به وحده (١) " ولسائل أن يسأل فيقول " كيف يصف الجهم الله بأنه قادر ، مع أن المبدأ يتصف بالقدرة ؟ فيقال ان فلانا قادر على فعل كذا فتصدق وصف الله بوصف جاز إطلاقه على المبدأ ، ولكن هذا الاستراض يسقط اذا علمنا أن جهم بن صفوان يرى أن المبدأ مجبور على فعله وأنه كالريشة في مهب الريح تحركها كيف تشاء ، فاذا أضيف الفعل إلى المبدأ كان على سبيل المجاز لا على الحقيقة كما يقال " جرى النهر ، وتحركت الشجرة " .

٢- المعتزلة

تعتبر فرقة المعتزلة ، من نفاة الصفات ذلك أنهم ينفون زيادتها على الذات ، أما الصفات من حيث هي ، فإنهم يرون أن الله تعالى عالم قادر ، حي ، موجود ، ولكنهم يختلفون في كيفية استحقاقه تعالى لهذه الصفات .

(١) البغدادي " الفرق بين الفرق ص ٢١١ - ٢١٢

الشهرستاني " الملل والنحل ١ / ٨٦ ط " الحلبي ١٣٨٢ - ١٩٦٨

نقال أبو علي الجبائي، وأبو الهذيل الصافي "

(أن الله تعالى يستحق هذه الصفات لذاته ، فهو سبحانه ، عالم لذاته ، قادر لذاته ، عليم لذاته ، قادر بذاته .

وقال أبو هاشم " أن هذه الصفات أحوال وراء الذات ، قاله تعالى ، عالم بماله ، قادر بمادته ، وهذه الأحوال لا موجودة ولا معدومة (١)

وقد ذهبت المعتزلة إلى القول بعدم زيادة الصفات على الذات لأنهم يرون (أنه لا صفة للتقديم أخص من كونه قديما ، أو ما يقتضي كونه قديما ، من الصفة النفسية) (٢) وأن في اثبات زيادة تلك الصفات على الذات ، ما يؤدي إلى القول بتمدد القدماء ، الأمر الذي يستلزم أن تنصف هي الأخرى بصفات الله تعالى ما يؤدي إلى مشاركتها تعالى في الألوهية .

يقول القاضي عبد الجبار ، بعد أن نفى أن يكون الله تعالى يستحق هذه الصفات لعمان قديمة "

(والأصل في ذلك ، أنه تعالى ، لو كان يستحق هذه الصفات لعمان قديمة وقد ثبت أن القديم ، إنما يخالف مخالفه يكون قديما ، وثبت أن الصفة التي تقع بها المخالفة عند الافتراق ، بها تقع المماثلة عند الاتفاق ، وذلك يوجب أن تكون هذه المعاني مثلا لله تعالى ، حتى إذا كان القديم تعالى مائلا لذاته ، قادرا لذاته ، وجب في هذه المعاني مثله ، ولوجب أن يكون الله تعالى مثلا لهذه المعاني) (٣)

(١) القاضي عبد الجبار " شرح الأصول الخمسة ص ١٨٢

(٢) = = = " المعنى (رؤية الباري) ٢٥١ / ٤

(٣) = = = " شرح الأصول الخمسة ص ١٩٥

٣- الفلاسفة *

أما الفلاسفة ، فقد اتفقوا مع المعتزلة على نفي صفات المعاني عن الله تعالى ، إلا أن طريقة كل منهما في الاحتجاج لنفي تلك الصفات تختلف عن طريقة الأخرى .

فبينما ترى المعتزلة أن إثبات الصفات يؤدي إلى القول ب تعدد القدماء ، نجد أن الفلاسفة لا يمانعون من تجهيز تعدد القدماء ، مثل العقول المشرة ، والأفلاك ، فانها عندهم قديمة ، ولكنهم ينفون الصفات عن الله تعالى خشية التركيب ، لأن الله عندهم ، واحد بسيط ، وما ورد في الشرع من صفات الله إنما ترجع إلى ذات واحدة وهذه الصفات إما أنها سلبية تنفد سلب نقص لا يخلق بالذات ، أو اضافات اعتبارية .

يقول ابن سينا *

(فإذا حقت تكون الصفة الأولى لواجب الوجود أنه "إن" وموجود ثم الصفات الأخرى يكون بعضها الخمين فيه هذا الوجود مـ إضافة ، وبعضها هذا الوجود مع السلب ، وليس واحدا معها موجبا في ذاته كثرة البتة ولا مفارقة) (١)

ويتضح لنا من نص ابن سينا أن الفلاسفة لا يصفون الله إلا بأنه (إن وموجود) ، والوجود لا يوجب كثرة فيه وما عدا ذلك من الصفات فهم يرون أنها اضافات أو سلوب ، فهم بهذا يتفقون مع المعتزلة في نفي الصفات ، ولكن من جهة نفي التركيب في ذاته تعالى .

(١) ابن سينا * النجاة ص ٢٥١ الطبعة الثانية ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨ م

وبعد استكمالنا لعرض آراء الفرق النافذة لصفات الله تعالى ، تأتي على ذكر
آراء الفرق المبتدئة لتلك الصفات وهما فرقان " الأشاعرة ، والكرامية .

١- الأشاعرة

أما الأشاعرة فانهم يشبّهون لله تعالى سبع صفات زائدة على الذات
ويسمونها صفات المعاني ، لأنها تدل على معنى زائد على الذات
وهذه الصفات هي "

العلم ، والقدرة ، والارادة ، والحياة ، والسمع ، والبصر ، والكلام .
أما دليلهم على زيادة هذه الصفات على الذات فهو قياس
الفائز على الشاهد ، فالعالم في الشاهد من قام به العلم
ولا يختلف الأمر شاعدا وفائزا ، لأن الملة واحدة والشرط
واحد ، فعلة كون الشخص عالما في الشاهد هو العلم فكذا الأمر
في الفائز ، ولأن هذه الصفات لو لم تكن زائدة على الذات كما
تقول المعتزلة " عالم لذاته قادر لذاته ، لكان هذا بمثابة
حمل الشئ على نفسه وهو باطل (١)

ولهذه الصفات أحكام أربعة عند الأشاعرة وهي "

١- أن هذه الصفات السبع ، ليست هي الذات ، بل زائدة على
الذات ، فصانع العالم تعالى ، عالم بعلم ، حي بحياة ، قادر بقدر
وهكذا في جميع الصفات السبع المتقدمة .

٢- أن هذه الصفات كلها قائمة بذاته ، لا يجوز أن يقوم
شئ منها بخير ذاته ، سواء كان في محل أو لم يكن في محل .

(١) المواهب " للإيجي ٨ / ٤٥ وما بعدها .

٣- أن هذه الصفات كلها قديمة ، فانها ان كانت حادثة كان القديم سبحانه محلا للحوادث وهو محال .

٤- أن الأسامي المشتقة لله تعالى من هذه الصفات السبع صادقة عليه أزلا ، وأبدا . فهو سبحانه في القدم كان حيا ، مهيدا ، قادرا ، عالما ، سميعا بصيرا ، متكلما . (١)

٢- الكرامة "

وهم أتباع أبي عبدالله محمد بن كرام السجستاني ، وهم ممن أثبتوا صفات المعاني لله تعالى على أنها زائدة على الذات ، قاله تعالى ، عالم ، عليم ، قادر ، بقدر ، حي ، بقاء ، سميع ، بصير ، وجميع هذه الصفات قديمة أزلية قائمة بذاته . وقالوا كذلك " انه تعالى كان خالقا قبل أن خلق ، ورازقا قبل أن يرزق ، ومنعما قبل أن انعم ، ومعنى خالقه ، قدرته على الخلق ، ورازقه قدرته على الرزق ، وانعامه قدرته على الانعام (٢) فهم بذلك يثبتون صفات المعاني ، ويرون أنها زائدة على الذات .

((رأى ابن الجوزي في صفات المعاني))

بينما فيما سبق رأى الأشاعرة ، والكرامية ، في صفات المعاني وذكرنا أنهم يشتقونها لله تعالى صفات زائدة على الذات ، لورود الشرع بها ، ولأنها صفات كمال يمدح المتصف بها قاله عسز وجل أولى بأن يمدح بصفة العلم ، والقدرة ، والارادة ، وغيرهما

(١) الفزالي " الاختصاص في الاعتقاد ص ١٥ وما بعدها .

(٢) البخداوى " الفرق بين الفرق ص ١٥٢ وما بعدها .

ولما كان ابن الجوزي من أهل السنة والحديث ، وأهل السنة يصفون
الله تعالى بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله صلى الله
عليه وسلم ، فهو إذن من شتى صفات المعاني ، لذلك فالتنا نرى أن ابن
الجوزي يثبت صفات المعاني من العلم ، والقدرة ، والارادة ، والحياة ،
والسمع ، والبصر ، والكلام ، لله تعالى ، وأن هذه الصفات غير الذات .
والله تعالى أعلم .

أجل

((الفصل الثالث))

في

((الصفات الخمسة))

((الفصل الثالث))

في

((الصفات الخيرية))

عند المتكلمين

يقصد بالصفات الخيرية أو (السعوية) ما كان الدليل عليها مجوزاً لخير الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو الكتاب الكريم ، من غير استناد على دليل عقلي وذلك مثل " اثبات الوجه ، واليد ، واستوائه تعالى على العرش ، ونزوله الى السماء الدنيا في النصف الأخير من كل ليلة ، الى غير ذلك من الصفات الواردة في الكتاب الكريم ، والسنة النبوية العظيمة .

ومشكلة الصفات من أهم المسائل التي قام حولها الجدل والخلاف منذ بداية الحقبة الثانية من الهجرة تقريبا ، ولقد كانت سببا في أن ترمى الفرق بعضها ببعضاً بمبارات قاسية ، مثل " التجسيم أو التطويل ، أو الكفر ، وما الى ذلك من المبارات العنيفة التي لم تجد نفعا في اصلاح ما شاب معتقد الأمة منذ ذلك الحين حتى الآن ولقد اخذت الحالة تزداد من سوء الى أسوأ حتى كثرت الآراء ، وتعددت أقوال العلماء في هذه المسألة .

ولسنا هنا بصدد تعداد الفرق وذكر آرائها تفصيلا ، وإنما الذي يهمنا من تلك الفرق هي الفرق الرئيسية دون غيرها من تفرع عنها ، كما درجنا على ذلك في الفصل السابق وتلك الفرق هي :

الفلاسفة ، والمعتزلة ، والأشاعرة ، والكرامية .

ولما كان الهدف الأساسي من هذا البحث هو التعرف على موقف ابن الجوزي من مشكلة الصفات الخيرية ، وهل هو متأثر فيها ببعض الفرق ؟ او يسهر فيها على مذهب السلف من الايمان بها على الوجه الذي يليق بالله تعالى ، وتنزيهه

الفلاسفة "

نفى الفلاسفة صفات الله تعالى ، واعتبروا كل وصف ورد في الشريعة
الشريف انما يعود الى الذات ، وليس خارجا عنها ، ولا زائدا عليها ،
وحجبتهم في ذلك "

ان الله تعالى واحد بسيط من كل وجه لا تتكرر فيه ولا تركيب ، واثبت
الصفات - في نظرهم - سواء كانت صفات معان ، أو صفات خيريسسة
يؤدى الى الكثرة ، والتركيب وهما محالان على الله تعالى ، ولذلك
نفوا جميع الصفات وزيادتها على الذات .

المعتزلة "

عندما تذكر المعتزلة في كتب الفرق ، يذكرون على أنهم نفوا
للصفات ، وفي الفصل السابق رأينا كيف أن المعتزلة يرجعون
صفات المعاني الى الذات ، فهم اذن ينفون زيادتها فقط ، ويثبتونها
وجوها ، أو احوال للذات ، والذي حملهم على ذلك خشية القول بتعدد
القدماء ، ذلك أن القدم أخص وصف لله تعالى عندهم ، فوجب ان
لا يشاركه فيه غيره .

وهنا في الصفات الخيرية يذهب المعتزلة الى نفيا ، وتأويل الآيات
التي وردت فيها ، ذلك لأن اثباتها - في نظرهم - يؤدى الى
أن الله تعالى جسم جمالى الله من ذلك .
ويضيفون الى هذا ، أن هذه الصفات لم يقم على ثبوتها دليل
عقلي ، وانما وردت في السمع (الكتاب والسنة) وهي أدلة ظنية
الدلالة في نظرهم ، معارضة بالأدلة العقلية التى يرون أنها قطعية
الدلالة .

هذه شبهة المعتزلة ، وحجبتهم في نفى الصفات .

الأشاعرة *

بالرغم من أن الأشاعرة متفقون على اثبات صفات المعاني لله تعالى من " العلم، والقدرة، والارادة . . . الخ كما رأينا ذلك في الفصل السابق، إلا أنهم يختلفون في اثبات الصفات الخيرية .

فالمأخرون منهم *

مثل أبي المعالي الجويني، والفرازي، والرازي، لا يشتبهون الصفات الخيرية ويؤولون ما ورد فيها من آيات وأحاديث صحيحة لأمرهم *

الأمر الأول *

لأن في اثباتها ما يقتضي التجسيم وتشبيه الله تعالى بخلقه .

الأمر الثاني *

أن الدليل عليها مجرد ظواهر شرعية، وهي ظنية الدلالة بمعارضة بادلة عقلية قطعية الدلالة، وبناءً على هذا فإن لهم حيل الأدلة الشرعية الدالة على الصفات الخيرية موقنين *

الأول *

يفرضون العلم بمعانيها إلى الله جل شأنه .

الثاني *

أويؤولون تلك النصوص إلى معنى يلحق بالله تعالى .

يقول سعد الدين التفتازاني حاكياً كل ذلك *

(. . .) أما ظواهر الشرع فنكوله تعالى " (وجاء ربك) (١) (هو) (هل

ينظرون إلا أن يأتيهم الله) (٢) و (الرحمن على العرش استوى) (٣)

. . . (ويبقى وجه ربك) (٤) . . . (ولتصنع على عيني) (٥) (لما

خلقت يدي) (٦) . . . إلى غير ذلك وكقوله عليه الصلاة والسلام

(١) سورة الفجر آية (٢٢) (٢) سورة البقرة آية (٢١٠)

(٣) سورة طه آية (٥) (٤) سورة الرحمن آية (٢٧)

(٥) سورة طه آية (٣٦) (٦) سورة ص آية (٧٥)

للجارية الخرساء " أين الله ؟ فأشارت الى السماء ، فلم يفكر عليها
وحكم بإسلامها الى أن قال " والجواب " انها ظنيات سمعية ، فهي
معارضة قطعية عقلية ، فيقطع بانها ليست على ظواهرها ، وبفرض العلم بمعانيها
الى الله تعالى ، مع اعتقاد حقيقتها جريا على الطريق الأسلم الموافق للواقع
على لفظ الجلالة في قوله تعالى (وما يعلم تأويله الى الله) (١) أو تقول تأويلات
مناسبة ، موافقة لمعامله الأدلة العقلية على ما ذكر في كتب التفسير ، وشروح الأحاديث
سلوكا للطريق الأحكم ، الموافق للعطف في قوله تعالى " (وما يعلم تأويله الا الله
والراسخون في العلم) (٢)

والذي يبدو أن هؤلاء العلماء من الأشاعرة لم يكونوا على رأي واحد في تأويل
نصوص الصفات الخيرية ، بل ربما كانت لهم مواقف أخرى من تلك النصوص ، حسب ما أوقفهم
عليه البحث العلمي ، ومع مرور الزمن وتطاول الأيام ذلك أن ابن تيمية وابن القيم
يذكران من أمام الحرمين الجويني أنه قد رجع عن التأويل الى مذهب السلف ،
يقول ابن تيمية ناقلًا عنه ذلك من (الرسالة النظامية) " -

((اختلف مسالك العلماء في هذه الظواهر ، فرأى بعضهم تأويلها ، والترم ذلك
في آي الكتاب ، وما صح من السنن ، ومذهب أئمة السلف الى الانكاف عن التأويل
وأجراء الظواهر على موارد ما ، وتضييق معانيها الى الرب . . . والذي يرتضيه
رأيا وتدين الله به عقيدة " اتباع سلف الأمة ، والدليل السعبي القاطع في ذلك
اجماع الأمة ، وهو حجة شرعية ، وهو مستند معظم الشريعة . وقد درج صعب
رسول الله صلى الله عليه وسلم على ترك التعرض لمعانيها . . . وهم صفوة الاسلام ،
والمستقلون بأعباء الشريعة ، وكانوا لا يألون جهدا في ضبط قواعد الملة ، والتواصي
بحفظها ، وتعليم الناس ما يحتاجون اليه منها ، فلو كان تأويل هذه الظواهر
مستوفيا ، أو محتوما ، لأشك أن يكون اهتمامهم بها فوق اهتمامهم بفروع الشريعة ،

(١) سورة آل عمران آية (٧)

(٢) سعد الدين التفتازاني " شرح المقاصد ٢ / ٤٩ ، ٥٠

وإذا انصرف مصرهم ، وعصر التابعين على الاضراب عن التأويل ، كان ذلك هو الوجه الصحيح ، فحق على ذي الدين أن يعتقد تنزه الباري عن صفات المحدثين ، ولا يخوض في تأويل المشكلات ويكل منهاها الى الرب تعالى ، فليجرب آية الاستواء ، والمعنى ، وقوله تعالى " (لما خلقت بيدي) (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) وقوله تعالى " (تجري بأمرنا) ، وما صح من أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم كخبر ~~الرسول~~ النزول وغيره على ما ذكرناه (١)

هذا النص من امام الحرمين الجويني ، نقله بطوله عن ابن تيمية ، وعلى الرغم من أن هذا ليس فيه دليل - في نظري - على تحول امام الحرمين الى مذهب السلف الا أنه يدل على تحوله من موقف التأويل الى التفويض ، ومذهب التفويض ليس مذهباً للسلف ، وقد قال الامام مالك - رحمه الله - عن الاستواء عندما سئل عنه " (كيف غير معقول ، والاستواء منه غير مجهول ، والاعيان به واجب ، والسؤال عنه بدعة) (٢)

فان هذا النص من الامام مالك - رحمه الله تعالى - يفيد أن مذهب السلف هو التفويض في الكيف لافي المعنى .
وأيا كان الأمر فالنص - المنقول عن امام الحرمين - يفيدنا ما سبق أن قلنا ، من أنه قد تحول من موقف الى آخر .
أما الفزالي " فقد رأى أن عوام الناس فقط يجب أن يبعدوا عن الخوض في نصوص الصفات وتفسير ظواهرها .

يقول الفزالي بعد أن أورد آية الاستواء وحديث النزول " (قلنا الكلام على الظواهر الواردة في هذا الباب طويل ، ولكن نذكر منها في هذين الظاهرين يرشد السامع ما عدا ، وهو أننا نقول " الناس في هذا فريقان ، عوام وعلما ، والذي نراه اللائق بعموم الخلق أن لا يخاض بهم في هذه التأويلات ، بل ننزع عن عقائدهم كل ما يوجب التشبيه ويدل على الحدوث ، ونحقق عندهم أنه موجود ليس كمثله شيء وهو السمع البصير .

(١) ابن تيمية " الحموية الكبرى ضمن مجموع الفتاوى ٥/١٠١، ١٠١ وابن القيم " اعلام العوالم ٣١١/٤ (٢) الذهبي " الملو للملي الخفارض ١٠٤ ، واللائق " شرح اصول اعتقاد اهل السنن والجماعة ١٢ ، وقد ورد هذا النص أيضاً عن شيخنا مالك (ربيعة بن ابي عبد الرحمن) عندما سئل عن كيفية الاستواء فقال (الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول " الذهبي " الملو للملي الخفارض ١٨

وإذا سألوا من معاني هذه الآيات أجروا عنها، وقيل " ليس هذا بمشكم فادرجوا
فلكل علم رجال (١) "

وأما الرازي، فبالرغم من مؤلفاته المديدة التي ذكر فيها تأويل نصوص الصفات
الخبرية، وخاصة كتابه (أساس التقديس) الذي ذكر فيه جملة من الآيات والاحاديث
المتعلقة بصفات الله تعالى، وتأويلها جميعها، بالرغم من ذلك فإنه يحكى عنه
أنه رجع من موقفه هذا إلى مذهب السلف في اثباتها على الوجه الذي يليق
بالله تعالى، مع عدم مشابهة لمخلوقاته .

ينقل ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم قول الرازي في هذا الصدد، وهو ما ذكره
في كتابه (أقسام اللذات) الذي كان آخر مصنفاته، يقول الرازي (لقد تأملت
الطرق الكلامية، والمناجى الفلسفية، فما رأيتها تشفى علما، ولا فليلا،
ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن ! أقرأ في الاثبات (الرحمن على العرش استوى)
(إله يصمد الكلم والطيب والعمل الصالح يرفعه) وأقرأ في النفي (ليس كمثله
شئ) (ولا يحيطون به علما) (هل تعلم له سميا) ثم قال " ومن جرب مشغل
تجربتي عرف مثل مصرقى ٠٠٠ الخ) (٢)

فالرازي - إذن - يصف الله بما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله صلى الله
عليه وسلم من غير تأويل، ولا تشبيه، وهذه هي طريقة السلف واتباعهم، ومنهم
المتقدمون من الأشاعرة الذين سنأتي على الحديث عنهم .

المتقدمون من الأشاعرة

مثل أبي الحسن علي بن اسماعيل الأشعري، وأبي بكر الباقلاني
وهؤلاء يشتهون الصفات الخبرية، من الاستواء، والوجه، واليدين
وغيرها ما وصف الله به نفسه في كتابه الكريم، وما وصف به
رسوله صلى الله عليه وسلم في السنة الصحيحة الواردة عن الأئمة الثقات .

(١) الفزالي " الاقتصاد في الاعتقاد ص ١٠٢ الطبعة الأولى ١٣٨٨ هـ -

١٩٦٩ م

(٢) ابن تيمية " مجموع الفتاوى ٤ / ٧٢، ٧٣، ابن القيم " اجتماع
الجيوش الإسلامية ص ١٤٨، ١٤٩ .

يقول أبو الحسن الأشعري في كتابه (الابانة عن أصول الديانة) ((٠٠٠ قولنا الذي نقول به ، وديانتنا التي ندين بها ، التمسك بكتاب ربنا عز وجل ، وبسنة نبينا صلى الله عليه وسلم ، وما روى من الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ونحن بذلك معتصمون ، وبما كان يقول به أبو عبد الله - أحمد بن محمد بن حنبل نضر الله وجهه ، ورفع درجته ، وأجزل مثوبته - قائلون ، ولعن خالف قوله مجانبون ، لأنه الامام الفاضل ، والرئيس الكامل ، الذي أمان الله به الحق (عند ظهور الضلال) ورفع به الضلال ، وأوضح به الضلال ، وقمع به بدع المبتدعين ٠٠٠ جملة قولنا ٠٠٠ أن الله استوى على عرشه كما قال " (الرحمن على العرش استوى) وأن له وجهها كما قال " (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) وأن له يدين بلا كيف كما قال " (خلقت يدي) وكما قال " (بل يدها مسوطان) وأن له منها بلا كيف كما قال " (تجري بأمينا) (١)

الى آخر ما ذكره في كتابه الابانة ، من الأقوال - اجمالاً وتفصيلاً - والتي تتفق مع مذهب السلف ، وقد ذكر مثل هذا في كتابه (مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين) (٢) وقد اكتفينا بهذا القدر مما نقلناه عنه من كتاب الابانة . ولمننا نجد مناسبة في الفصل الاخير من هذا البحث وهو فصل (مقارنة مذهب ابن الجوزي بمذهب الامام احمد ، لنذكر المزيد من كلام أبي الحسن الأشعري ان شاء الله حسب ما يقتضيه المقام .

وأما أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني ، الذي قال عنه ابن تيمية " (انه أفضل المتكلمين المنتسبين الى الأشعري ، ليس فيهم مثله لاقبله ولا بعده) (٣)

(١) أبو الحسن الأشعري " الابانة عن أصول الديانة ص ١٨٠

(٢) أبو الحسن الأشعري " مقالات الاسلاميين ١ / ٣٤٥

(٣) ابن تيمية " مجموع الفتاوى ٥ / ١٨ ط الرياض .

فانه قال في كتابه (التمهيد)

(فان قال قائل " فهل تقولون ان الله في كل مكان ؟ قل معاذ الله بئس هو مستو على العرش كما أخبر في كتابه ، فقال عز وجل " (الرحمن على العرش استوى) وقال تعالى " (الله يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) ، وقال - تعالى - (أممتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض) ، ولو كان في كل مكان ، لكان نفسي جوف الانسان ، وفي فمه وفي ٠٠٠ المواضع التي يرفب من ذكرها ٠٠٠ ، ولا يجوز أن يكون معنى استوائه على العرش هو استلأؤه كما قال الشاعر "

قد استوى بشعر على المصراق .

لأن الاستلأء ، القدرة والقهر ، والله تعالى لم يزل قادرا قاهرا عزيزا مقتدرا ، وقوله - تعالى - (ثم استوى) يقتضي استفتاح هذا الوصف بمد أن لم يكن ، فبطل ما قالوه .

ثم قال " فان قال قائل " فصلوا لي صفات ذاته من صفات أفعاله ، لأعرف ذلك ، قل له "

صفات ذاته "

هي التي لم يزل ولا يزال موصوفا بها ، وهي الحياة ، والعلم ، والقدرة ، والسمع ، والبصر ، والكلام ، والارادة ، والبقاء ، والوجه ، واليدان ، والمينان ، والفضب ، والرضا .

صفات فعله هي "

الخلق ، والرزق ، والعدل ، والاحسان ، والتفضل ، والانعام ، والشعاب ، والمقاب ، والحشر ، والنشر ، وكل صفة كان موجودا قبل فعله لها (١)

(١) أبو بكر الباقلاني " التمهيد في اصول الدين ص ٢٥٨ وما بعدها

المكتبة الشرقية بيروت ١٩٥٢ م منشورات جامعة الحكمة ببغداد .

وقد نقل ابن تيمية وابن القيم عن الباقلاني - أيضا - من كتابه (الابانة) ما يشبه كلامه في التمهيد ، وذكر ابن القيم عنه ما كتبه في (رسالة الحيرة) ما يطابق كلامه في الكتابين السابقين (التمهيد والابانة) (١) كل ذلك يدل على أن الباقلاني يقول بقول امامه أبي الحسن الاشعري في اثبات الصفات الخبرية ، وهو الرأي الذي سبق أن قلت " انه موافق لما كان عليه المؤلف من اثبات صفات الله تعالى كما وردت في الكتاب والسنة ، الصحيحة .

الكرامية

تعد الكرامية من الفرق التي تثبت الصفات لله تعالى الا أنهم قصد غالوا في الاثبات حتى اعتبروا من المجسمة ، وفي ذلك يقول الشهرستاني ناقلا مذهبهم "

(نص أبو عبد الله على أن معبوده على العرش استقرارا ، وعلى أنه بجهة فوق ذاتا ، وأطلق عليه اسم الجوهر ، وأتت معاس للمعصب عرش من الصفحة العليا ، وجوز الانتقال والتحول ، والنزول ، ومنهم من قال " انه على بعض أجزاء العرش ، وقال آخرون " امتلاك العرش " وقال المتأخرون منهم " انه تعالى بجهة فوق ، وأنه محظوظ للعرش) (٢) وبعد عرضنا لآراء هذه الفرق ننتقل لعرض آراء ابن الجوزي في الصفات الخبرية لتتمكن بعضنا من أن نقف على حقيقة موقفه من هذه الصفات وإلى أي مذهب ينتمي .

(١) ابن تيمية " مجموع الفتاوى ٥ / ٩٨ ، ٩٩

ابن القيم " اجتماع الجيوش الإسلامية ص ١٤٧

(٢) الشهرستاني " الملل والنحل ١ / ١٠٨ ، ١٠٩

((موقف ابن الجوزي من الصفات الخيرية))

يعتبر ابن الجوزي نفسه مدافعا عن مذهب الامام احمد - رحمه الله تعالى -
ومبينا لرأيه ، وثانفا عنه كذب المقولات - كما يقول - وهذيان المقولات ،
وذلك بتأليفه كتاب (دفع شبهة التشبيه) الذي كتبه ليناقد فيه ثلاثة
من المؤلفين المتنازعة (١) حيث اعتبرهم مشبهة باثباتهم الصفات الخيرية ،
ورفضهم مذهب التأويل .

لقد سلك ابن الجوزي في هذا الكتاب طريقة (التأويل) فأول جميع النصوص
الواردة في الصفات الخيرية ، لذا فان كثيرا من العلماء الذين يرون تأويل
نصوص الصفات ، يرون في قول ابن الجوزي هذا دليلا لهم ضد من يعارض التأويل
وخاصة المتنازعة منهم ، لأنهم يرون هذا من ابن الجوزي وهو الناطق - كما
يدعي - بمذهب الامام احمد - رحمه الله تعالى - يرون في أقواله هذه ،
أنها المعبرة عن المذهب السلفي ، وما عداها من الأقوال ، إنما هي تشبيه
وتجسيم .

بينما يرى الذين ينفون من التأويل موقف الممارض أنه لاجبة في أقوال ابن الجوزي
هذه ، وان ادعى أنها رأي الامام احمد ، فان المبرة عندهم بما في الكتاب
والسنة ، وأقوال الأئمة . وما في الكتاب والسنة ، وجاء من الأئمة - ومنهم
الامام احمد رحمه الله تعالى لا يتفق وأقوال ابن الجوزي في كتابه (دفع
شبهة التشبيه) ، فالاجبة - اذن - في أقواله لعن يتخذها دليلا على مخالفهم .

(١) المؤلفون الثلاثة هم

١- أبو عبد الله الحسن بن حامد بن علي البغدادي الوراق المتوفى سنة ٤٠٣ هـ.

٢- القاضي أبي يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن الفراء الحنبلي المتوفى

سنة ٤٥٨ هـ.

٣- أبو الحسن علي بن عبيد الله بن نصر الزاغوني الحنبلي ، المتوفى سنة ٥٢٧ هـ ، وهو

احد شيوخ ابن الجوزي - كما تقدم -

والذي يبدو، أن أقوال كل من الفريقين — سواء من عناصر ابن الجوزي، أو من يمارضه — قد اعتمدوا فيها على ما وجدوه له في كتابه (دفع شبهة التشبيه)، والحق أن هذا الكتاب وحده لا يمكننا أن نعتمد عليه إذا ما أردنا أن نعرف موقفه الحقيقي من الصفات الخيرية، لأن الرجل كان كثير التأليف، وقد ذكر آرائه في أكثر من كتاب، والباحث المنصف لا يجوز له أن يأخذ رأي العالم من كتاب واحد له، بل يجب أن يرجع إلى ما يمكن الرجوع إليه من مؤلفاته، ويقارن بينها — إن وجد بينها اختلافاً — ليرى هل يمكن الجمع بين آرائه فيها، والا اعتبر الرأي المتأخر ناسخاً للقديم، أو كان المؤلف متناقضاً مع نفسه.

لقد بحث ابن الجوزي — كما قلنا — موضوع الصفات الخيرية في أكثر من مؤلف وتطرق لبحثها في أكثر من موضع، ومن ضمن هذه المؤلفات كتابه (مجالس ابن الجوزي في التشابه من الآيات القرآنية) والذي تحدث فيه عن بعض الصفات الخيرية، وذلك إجابة عن سؤال وجهه إليه، يقول السائل فيه:

ما تقول في أخبار الصفات؟

فأجاب ابن الجوزي "بأن الله تعالى، يوصف باليدين"، والوجه، والميم على الوجه الذي يليق به تعالى. وأورد الأدلة من الكتاب والسنة على صحة ما ذهب إليه، ثم عقب بقوله "ان الخلاف ليس في اثبات هذه الصفات وإنما الخلاف في اثباتها جوارح لله، تعالى الله عن ذلك". كما ذكر أن الخلاف قائم بين المستزلة السذين عطلوا الله عن صفاته والمشبهة الذين مثلوا الله بخلقه، وأهل السنة الذين وحدوا الله ونزهوه عن مشابهة خلقه. وقد استطرد ابن الجوزي في الحديث، فذكر حجج المستزلة ومناقشتها، وما نحن نذكر ما أجاب به السائل ليزداد الموقف وضوحاً وقد كان السؤال هو "ما تقول في أخبار الصفات؟" فأجاب ابن الجوزي بقوله:

((اعلم أن الحق يوصف بالهدين ، والوجه ، واليمين على الوجه الذي يلحق

به .

أما الهدين (١)

فقد قال تعالى : " ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي) وقال "

(بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء)

وقال النبي صلى الله عليه وسلم " (الحجر الاسود يمين الله فسي

أرضه ، وكلتا يديه يمين) ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم (ان

الله خلق آدم بيده وكتب التوراة بيده ، وغرس الجنة عدن بيده)

فيسوجب القول بذلك والتسليم له وتفي التشبيه عنه .

وأما الوجه "

فقد قال تعالى " (ويبقى وجه ربك) وقال " (كل شيء هالك الا وجهه)

وأما اليمين " فقد قال تعالى " (ولتصنع على معنى)

يقول ابن الجوزي "

وليس الخلاف في اليد ، وانما الخلاف في الجارحة ، وليس الخلاف

في الوجه وانما الخلاف في الصورة الجسمية ، وليس الخلاف في

اليمين وانما الخلاف في الحدة .

فالمعتزلة يذهبون الى التمطيل والتبويه . والمشبهة الى التمثيل

وأهل السنة الى التوحيد والتتزه .

فالمعتزلة جحدوا ، والمشبهة الحدوا ، وأهل السنة وحدوا . (٢)

ثم أخذ ابن الجوزي يورد اعتراضات المعتزلة ويناقشها ، فقال " (فالمعتزلة

قالوا " المراد باليد القدرة أو النعمة ، والمراد بالوجه الذات في

قوله - تعالى - (كل شيء هالك الا وجهه) . . .

(١) الصواب " (أما الهدان) ولعل التقدير (أما صفة الهدين)

(٢) ابن الجوزي " مجالس ابن الجوزي في التشابه من الآيات القرآنية

وقول المعتزلة " ان المراد باليد القدرة باطل، لأنه يؤدى الى أن تكون للحق سبحانه قدرتان فانه قال " - تعالى - " (بيدي) وأجمع المسلمون قاطبة أنه لا يجوز أن تكون لله - تعالى - قدرتان، ثم هم يوافقون على أن لله تعالى قدرة واحدة فكيف يتأولون تأولا يخالف مذهبهم واجماع المسلمين؟ وكذلك لا يجوز أن يقال " ان الحق تعالى خلق بنعمتين، لأن النعمة مخلوقة، والحق لا يخلق الخلق بمخلوق، لأنه لو خلق بمخلوق لكان محتاجا اليه، وهو منزّه عن الاحتياج، ولو كان الامر كما زعموا لمسا كان لآدم فضيلة على ابلوس أن يقول " وأنا بيدك خلقتني التي هي قدرتك و نعمتك... وقوله تعالى " (بل يدها مبسوطتان ينفق كيف يشاء) فأنبت لنفسه اليدين ودفى الفل عنهما... وقول المعتزلة " انه أراد بالوجه الذات فباطل، لأنه أضافه الى نفسه، والمضاف ليس كالضاف اليه، لأن الشئ لا يضاف الى نفسه، ثم لو كان وجهه هو ذات الله لجاز أن يقال نحن نعبد وجهه الله، ونقول يا وجهه اغفر لي، فلما لم يجز الاجماع دل على فساد ما قالوه (١)

ويتضح لنا من نص ابن الجوزي ومناقشته لآراء المعتزلة، أنه يصف الله بما وصف به نفسه وما وصف به رسوله صلى الله عليه وسلم، على الوجه الذى يُلحق بالله تعالى من غير تشبيه ولا تمثيل.

وقد أيد قوله بما ذكره في تفسيره " (زاد المسير) عند الكلام على صفة (اليد) بما نقله عن الزجاج، حيث رد القول بأن المراد باليد " القدرة والنعمة، فقال "

(قال الزجاج " وقد ذهب قوم الى أن معنى (يد الله) نعمته، وهذا خطأ ينقضه - قوله تعالى - " (بل يدها مبسوطتان) فيكون المعنى على قولهم " نعمته ونعم الله أكثر من أن تحصى) (٢)

(١) ابن الجوزي " مجالس ابن الجوزي ص ٢-٣

(٢) ابن الجوزي " زاد المسير ٢ / ٣٩٣

ولكن هل سار ابن الجوزي على هذا النوال من تقرير مذهب السلف ووصف الله تعالى بما وصف به نفسه على الوجه الذي يلحق به تعالى دون مشابهته لخلقه ، أو أن ابن الجوزي له آراء أخرى تخالف ما قرره في مجالسهم ؟ الحقيقة أن لابن الجوزي أكثر من رأى ، فبينما رأيناه قد أثبت الهدى صفة لله تعالى تلحق بجلاله وعظمته ، نجد في موضع آخر ينفي هـذا الصفة ، ويستدل على دفيه لها بما سبق أن أبطله هو في معرض مناقشته للمعتزلة ، يقول ابن الجوزي في (دفع شبهة التشبيه) عند الكلام على صفة (الهدى) في قوله تعالى " (لما خلقت بيدي)

(الهدى في اللفظة بمعنى النعمة ، والاحسان ، ٠٠٠ ، والهدى القوة ، يقولون " له بهذا الأمر يد ، وقوله - تعالى - " (بل يدها مسوطتان) أى نعمته وقدرته ، وقوله تعالى " (لما خلقت بيدي) أى بقدرتي ، ونصتي .

وقد أجاب بهذا على القاضي أبي يعلى حيث أثبت الهدى صفة لله تعالى كما أجاب عليه فيما احتج به هو سابقا على المعتزلة من أن الهدى لو لم تكن صفة لله تعالى لما كان لآدم مزية على غيره . (١)

أما ما نسبته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنه قال (إن الله خلق آدم بيده وكتب التوراة بيده ، وفرسجنة عدن بيده) حيث أثبت به الهدى صفة لله تعالى في كتابه (مجالس ابن الجوزي في العشابه من الآيات القرآنية) فقد قال عنه في كتابه (دفع شبهة التشبيه) أنه قول بعض التابعين ولا يثبت عن قائله (٢)

وهو بهذا قد وقع فيما عابه على من تصدى لعناقتهم في كتابه (دفع شبهة التشبيه) حيث اتهمهم بأنهم (لم يفرقوا بين حديث مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وبين حديث موقوف على صحابي أو تابعي

(١) ابن الجوزي " دفع شبهة التشبيه ص ١ ، ١٢

(٢) ابن الجوزي " دفع شبهة التشبيه ص ٧ ، وفيه " (وفرسجنة الفردوس

بيده) بدلا من (جنة عدن) في كتاب (مجالس ابن الجوزي)

فأثبتوا بهذا ما أثبتوا بهذا (١)

أما للعديد من الآخر الذي استدل به على إثبات صفة الهد لله تعالى في كتابه (مجالس ابن الجوزي) والذي نصه " (الحجر الأسود بمن الله في الأرض وكلتا يديه بمن) فقد قال فيه ابن تيمية " أنه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم بأسناد لا يثبت والعشيرة إنما هو من ابن عباس (٢) (٣)

وفي احتجاج ابن الجوزي بهذا الحديث مع عدم ثبوته ، ونسبه للمسي النبي صلى الله عليه وسلم مع أنه قول صحابي يجعله ، يقع في تناقض واضطراب إذ يحتج بما طاب به غيره حيث قال في موضع آخر من كتابه " (دفع شبهة التشبيه) لمن ناقشهم من الحنابلة " (انهم لم يفرقوا في الإثبات بين خبر مشهور ٠٠٠ وبين حديث لا يصح) (٤)

أما الصفة الأخرى التي أثبتها لله تعالى في كتابه (مجالس ابن الجوزي) وهي صفة الوجه ، والتي دلت على ثبوتها بالآيات القرآنية . فانك اذا ما استمرضنا آراءه في مؤلفاته الأخرى فانتنا سوف لانجده أحسن حالا مما وجدناه في الصفة التي قبلها وهي صفة الهد .

فمن الآيات التي استدلت بها ابن الجوزي على إثبات صفة الوجه ، قوله تعالى (ويبقى وجه ربك) وقد رأينا من مناقشته للممتزكة كيف رفض القول بأن المراد بالوجه الذات ، لأن الشئ لا يضاف الى نفسه ، أما في تفسيره (زاد المسير) فانه يقول في تفسير قوله تعالى " (ويبقى وجه ربك) أي "ويبقى ربك (٥) وقد أكد في كتابه (دفع شبهة التشبيه) أن المراد بالوجه الذات لأنه لو كان المراد به صفة زائدة على الذات لكان المعنى المراد في قوله تعالى " (كل شئ هالك الا وجهه) (ان ذاته تهلك الا وجهه) (٦)

(١) ابن الجوزي " دفع شبهة التشبيه ص ١ (٢) ابن تيمية " مجموع الفتاوى ٦/ ٣٩٧

(٣) ابن الجوزي " دفع شبهة التشبيه ص ٨ (٤) ابن الجوزي " زاد المسير ٨/ ١١٤

(٥) ابن الجوزي " دفع شبهة التشبيه ص ١

ومن نصوص ابن الجوزي التي أوردناها من مؤلفاته " (مجالس ابن الجوزي) (دفع شبهة التشبيه) و (زاد السير) يتضح لنا ما وقع فيه من اضطراب وعدم ثبات على رأى واحد ، ولكنه في كتابه (تلييس بالمس) يظهر لنا بموقف آخر لا يجزم فيه برأى بل يقرر ما يدل على أنه يحيل الى التفويض ، وأخيرا يقرر — في نفس الكتاب — أن عقده هي " ما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، يقتبسول ابن الجوزي في ذلك " — (ومن الناس من يقول " لله وجه هو صفة زائدة على صفة ذاته ، لقوله عز وجل (ويبقى وجه ربك) وله (يد) ٠٠٠ وهذا كله انما استخرجوه من مفهوم الحس ، وانما الصواب قراءة الآيات ، والأحاديث من غير تفسير ، ولا كلام فيها وما يؤمن (١) هؤلاء أن يكون المراد بالوجه الذات لأنه صفة زائدة ، وعلى هذا فسر الآية المحققون ، فقالوا " (ويبقى وبسبك ، وقالوا فسي قوله تعالى " (يريدون وجهه) " (يريدونه) (٢) وبعد أن تعرض ابن الجوزي لتفسير ما نهى عن تفسيره من آيات الصفات وأحاديثها قال " (والذي أراه السكوت من هذا التفسير أيضا ، إلا أنه يجوز أن يكون مرادا ٠٠٠) (٣) وهذا الرأى لابن الجوزي يدل على أنه يحيل الى التفويض وعدم البحث في آيات الصفات وأحاديثها ، ويمتنع هذا القول منه عدولا عما انتهجه فيما عرضناه له من آراء ، حيث كان في بعضها يتعرض للآيات والأحاديث بالتفسير باثبات ما تضمنته من صفات الله تعالى ، كما هو الحال في كتابه (مجالس ابن الجوزي) كما كان يتعرض لتلك النصوص بالتأويل كما هو واضح في كتابه (دفع شبهة التشبيه) وفي كلا الرأيين ما يناقض القول بالتفويض إلا أن ابن الجوزي عاد في فصل آخر من كتابه (تلييس بالمس) فقرر أنه يقول بما كان عليه

(١) أى وما يدرهم .

(٢) تلييس بالمس " لابن الجوزي ص ٩٦ .

الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأصحابه ، يقول ابن الجوزي في ذلك " (فان قال قائل " قد ثبت طريق المقلدين في الأصول ، وطريق المتكلمين فما الطريق السليم من تلييس إبليس ؟ فالجواب " ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وتابعوهم بإحسان ، من إثبات الخالق سبحانه ، وإثبات صفاته - تعالى - على ما وردت به الآيات والأخبار بمن غير تفسير ، ولا بحث عما ليس في قوة البشر إدراكه) (١)

ويوضح لنا من نص ابن الجوزي هذا أنه يقول بقول السلف ، من إثبات صفات الله تعالى ، كما وردت بها الأخبار في الكتاب الكريم ، والسنة النبوية الصحيحة على الوجه الذي يليق بالله تعالى ، إثباتا بلا تشبيه ، وتنزيها بلا تمثيل ، مع تنويه العلم بكيفية تلك الصفات إلى الله تعالى ، لأن العلم بكيفية ما يتوقف على العلم بحقيقة الذات ، وذلك ليس في مقدور البشر الاطلاع عليه . ولكن هل استقر ابن الجوزي على هذا الرأي ، ولم يقل بما يخالفه ؟

ان من يستعرض كتاب ابن الجوزي (صيد الخاطر) يجد فيه ما يناقض ما قرره في كتابه (تلييس إبليس) بل ان في كتابه (صيد الخاطر) ما ينقض بعضه بعضا ، وسنورد بعض تلك الخصوص للتدليل على صحة ما نقول .

لقد بحث ابن الجوزي موضوع الصفات في عدة فصول من كتابه (صيد الخاطر) وأول هذه الفصول هو الفصل (٤٣) حيث ذكر أن النجاة في التسليم لما ورد من صفات الله تعالى في كتابه وجاءت به رسوله ، وأن لا تنزهد على ذلك ، وأن كثيرا من تكلم في صفات الله تعالى بآرائهم لم يستفيدوا من بحثهم بل عاد عليهم بالويل .

يقول ابن الجوزي في هذا "

(رأيت كثيرا من الخلق ، وعالما من العلماء ، لا يفتنون عن البحث عن أصول الأشياء التي أمروا بعلم جليها ، ومن غير بحث عن حقائقها) .

(١) ابن الجوزي " تلييس إبليس ص ١٧ .

ويضرب لذلك مثالا بالروح والعقل حيث لا يتكرر وجودهما ، وكلاهما يعرف بآثاره
لا بحقيقة ذاته ، وابن الجوزي إذ يورد هذين المثالين إنما لهدل على أنه
إذا كانت بعض مخلوقات الله تعالى تخفى علينا حقيقتها فالله تعالى أجل
وأعلى .

ويتابع حديثه في هذا الفصل فيقول "

(فينبغي أن يوقف في إثباته — أي الله تعالى — على دليل وجوده . .
. . ثم تتلقى أوصافه من كتبه ورسله ، ولا يزداد على ذلك ، ولقد بحث خلق
كثير عن صفاته بأرائهم فماد وبال ذلك عليهم ، وإذا قلنا أنه موجود ، ولمنعنا
من كلامه أنه سمع بصير ، حي قادر ، كافا هذا في صفاته ، ولا نخشع
في شيء آخر . . . ولم يقل السلف استوى على العرش بذاته ، ولا قالوا
ينزل بذاته ، بل أطلقوا ما ورد من غير زيادة ، وهذه كلمات كالمثال فقس
عليها جميع الصفات ، تفز سليما من تمطيل ، متخلصا من تشبيه) (١)
وقد أعاد هذا القول في الفصل (٤٩) حيث انتقد التشبيه الذي
يحملون الأحاديث على ظاهرها ، ويرى (أنهم لو أمروا الأحاديث كما جاءت
سلموا ، لأن من أمر ما جاء من غير اعتراض ولا تعرض ، فما قال شيئا لاله ولا
عليه . . . وهذه طريقة السلف ، فأما من قال الحديث يقتضي كذا ،
ويحمل على كذا ، مثل أن يقول " استوى على العرش بذاته ، وينزل على
السما الدنيا بذاته ، فهذه زيادة فهمها قائلها من الحسن لا من النقل) (٢)
والحق هنا مع ابن الجوزي في أن السلف أمروا الأحاديث كما جاءت من
غير تعرض لها بالتأويل ، ولم يبحثوا في كيفية تلك الصفات لأنه لا يعلم
كيفيتها إلا الله ، أما من قال " (استوى على العرش بذاته ، وينزل بذاته) فلعل
ذلك كان رد فعل ضد أولئك الذين قالوا " ان الله في كل مكان ، وليس
على العرش ، فقبل بل على العرش بذاته ، ومن قال تنزل رحمته ، قبل له

(١) ابن الجوزي " صيد الخاطر " ص ٤٣

(٢) ابن الجوزي " صيد الخاطر " فصل (٤٩)

بل ينزل بذاته ، فهذا حدث كرد فعل لهذه الأقوال ، والأشئلة على ذلك كثيرة بين الفرق .

أما في الفصل (٦١) فانه يسلك طريق الفيزيائي في تقسيم الناس الى عوام وعلماء ، فيرى أن الأصل للعوام أن يقال لهم أمروا هذه الأحاديث كما جاءت ولا تتمضوا لها بالتأويل لأن الله تعالى ، وصف نفسه بصفات تقرير وجوده في النفوس مثل الاستواء على العرش ، والنزول الى سما الدنيا والنفض والرضا ، وغير ذلك وكل ذلك انما يقصد به حفظ الاثبات ، أما العالم فلا يخفى عليه أنه لا يجوز أن يكون استوى كما يعلم ، ولا يجوز أن يكون معمولاً ، ولا أن يوصف بملاصقة ومس .

ويقول أيضا في هذا الفصل

(ان المراد منك الايمان بالجمل وما أمرت بالتقير ، مع أن قوى قهك تعجز عن ادراك الحقائق . . . وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم . . . يرضى من الناس بنفس الاقرار واعتقاد الجمل ، وكذلك كانت الصحابة فما نقل عنهم أنهم . . . قالوا استوى بمعنى استولى ، وينزل بمعنى يرحم بل قنعوا باثبات الجمل التي تثبت التمظيم عند النفوس) (١)

وابن الجوزي مصيب فيما قال " من أن البحث عن الحقائق ليس في مقدور البشر وهذا أمر يتفق عليه ، لا خلاف فيه ، وانما الخلاف في اثبات ما دل عليه تلك الصفات أو نفيها ، وهو مصيب أيضا فيما قال " من أن الصحابة رضي الله عنهم لم ينقل عنهم أنهم قالوا " استوى بمعنى استولى ، وينزل بمعنى يرحم ولكن ابن الجوزي في كتابه " (دفع شبهة التشبيه) قال " . . . والأشياء الاستيلاء على الشيء ، قال الشاعر

إذا ما غزا قوما أباح حريمهم وأضحى على ممالكهم قد استوى (٢)
بينما يقول هذا نراه ينقل عن ابن الاعرابي في كتابه " (زاد المعير) أنه

(١) ابن الجوزي " صيد الخاطر فصل (٦١)

(٢) ابن الجوزي " دفع شبهة التشبيه ص ١٨

لا يصرف في اللغة الاستواء بمعنى الاستيلاء ، يقول ابن الجوزي في ذلك عند قوله تعالى " (ثم استوى على العرش) (١) " واجماع السلف منقاد على أن لا يزيدوا على قراح الآية ، وقد شذ قوم فقالوا العرش بمعنى الملك ٠٠٠ وبعضهم يقول " استوى بمعنى استولى ، ويحتاج بقول الشاعر "

حتى استوى بشر على المراق من غير سيف ودم مهسراق
ويقول الشاعر أيضا "

هما استويا بفضلها جميعا على عرش الملوك بفهر زور
وهذا منكر عند اللغويين ، قال ابن الأعرابي "

المرب لا تصرف استوى بمعنى استولى ، ومن قال ذلك فقد أعظم . قالوا " وانما يقال استولى فلان على كذا ، اذا كان بعيدا عنه غير متمكن منه ، ثم تمكن منه ، كذا قال ابن فارس اللغوي ، ولو صحا فلا حجة فیهما لما بينا من استيلاء من لم يكن مستوليا ، نعوذ بالله من تمطيل الطلعة ، وتشبيه المجسمة (١) هـ (٢)

وهذا من ابن الجوزي اضطراب واضح وتناقض بين " ولتتابع حديث ابن الجوزي من الصفات في كتابه (صيد الخاطر) حيث يرى في الفصل (١٢٣) ما أرتاه . في الفصل السابق (٦١) من تقسيم الناس الى موافق وعلماء ، ويصرح في هذا الفصل أن التشبيه أصلح للموافقين التشبيه يقول ابن الجوزي "

((قدم الى بغداد جماعة من أهل البدع الأعاجم فارتقوا منابر التذكير للمصوم ، فكان معظم مجالسهم أنهم يقولون ٠٠٠ ان الله ليس في السماء ، وأن الجارية التي قال لها النبي صلى الله عليه وسلم " أين الله ؟ كانت خرسا فأشارت الى السماء أي ليس هو من الأصنام التي تعبد في الأرض ، ٠٠٠ فان تسال قائل " فما جوابنا عن قولهم ؟ قلت " اعلم وفقك الله تعالى أن الله عز وجل رسول الله (رضا) (٣) من الخلق بالاعيان بالجمال ، ولم يكلفا معرفة

التفاصيل ، إما لأن الاطلاع على التفاصيل يخطئ العقائد ، وإما لأن قوى البشر تعجز عن مطالعة ذلك ، ٠٠٠ فان ما دونها لا يمكن تحقيقه على التفصيل كالروح مثلاً ، فانا نعلم وجودها في الجملة ، فلما حققناها فلا ، فاذا جهلنا حقائقها كنا لصفات الحق لجهل ، فوجب الوقوف مع السميات مع نفي ما (لا) يليق بالحق ، لأن الخوض يزيد الغائص تخبطاً ، ولا يفيد تحصيلاً ، بل يوجب عليه نفي ما يثبت بالسمع من غير تحقيق أمر عقلي ، فلا وجه للسلامة إلى طريق السلف ، وكذلك أقول " ان اثبات الاله بظواهر الآيات والسنن ألزم للموأم من تحديثهم بالتنزيه ، وان كان التنزيه لازماً ، وقد كان ابن قتيل يقول " الأصل لا اعتقاد الموأم ظواهر الآي والسنن ، لانهم يأمنون بالاثبات فمتى محونا ذلك من قلوبهم زالت السياسات والحشمة ، وتهافت الموأم في التشبه " (١) أحب الى من اغراقهم في التنزيه ، لأن التشبيه يفسدهم في الاثبات فيطمعوا ويخافوا (٠٠٠) (٢)

ولنا وقفة مع ابن الجوزي فيما قاله في هذا الفصل في نقطتين "

الأولى

في نقده لمن فسرحديث الجارية التي سألتها الرسول صلى الله عليه وسلم قائلاً " لها أين الله ؟ فأشارت الى السماء ، بأن تسلك اشارة منها الى أنه ليس من الأضام التي تميد في الأرض لقد اعتبر ابن الجوزي هؤلاء مبتدعة بمطلبهم هذا ، ولكننا نمود مع ابن الجوزي الى كتابه (دفع شبهة التشبيه) لننظر ماذا قال من هذا الحديث هناك . يقول ابن الجوزي بعد أن أورد الحديث المذكور ، وذكر أنه مسن رواية مسلم " (قلت قد ثبت عند العلماء أن الله تعالى لا تحويه السماء ولا الأرض ولا تضمه الأقطار ، وانما مرف بأشارتها تعظيم الخالق جل جلاله عندها) .

(١) لعل الصواب " في الزن " سبيل
(٢) ابن الجوزي " صيد الخاطر فصل (١٢٢)

وهذا التفسير للحديث من ابن الجوزي ، لا خلاف في جزئيه
الأول من أن الله لا تحويه السماء ولا الأرض ، لأن الله تعالى بائن
من خلقه باتفاق ، ولكن الجزء الأخير من تفسيره للحديث لا أراء
يختلف عما انتقده على أولئك الذين ساءهم أعاجم مبتدعة فما ذاعني
هذا ؟ لقد أوضح مراده فقال " (ولسنا نختلف أن الجبار تعالى لا يملو
شئ من خلقه بحال ، وأنه لا يحل في الأشياء بنفسه ، ولا يزال عندها
لأنه لو حل بها كان منها ، ولو زال عنها لتأى عنها) (١)
وهذا من ابن الجوزي في حد ذاته تناقض ، إذ كيف يمكن أن يقال
" أن الله لا يملو شئ ، ويقال أن الله لا يحل في الأشياء " ولا يزال
عندها ؟

أما النقطة الثانية

التي سبقت الإشارة إليها فهي قوله في (صمد
الخاطر)

(ان الأصل لاعتقاد الموام ظواهر الآي والسنن
لأنهم يأنسون بالاثبات فمضى محونا ذلك مسن
قلوبهم زالت السياسات والحشمة ، وتهافت الموام
في التشبيه أحب الي من افراقهم في التنزيه ٠٠ الخ)
لأننا لو رجعنا الى كتابه (مجالس ابن الجوزي في
المشابه من الآيات القرآنية) الذي تحدث في أوله
من الصفات فأثبتها على الوجه الذي يلحق بالله
تعالى ، وناقش المفترزة في ردهم لتلك الصفات
وتأويلها ، لو رجعنا الى هذا الكتاب لوجدنا ابن

(١) ابن الجوزي " دفع شبهة التشبيه ص ٤٥ ، ٤٦

الجوزي يذكر فيه أن القول بالتأويل خير من التشبيه يقول ابن الجوزي " . . . وان لم يمكنك أن تتخلص من شركة التشبيه . . . الى التوحيد الا بالتأويل ، فالتأويل خير من التشبيه " (١)

وهذا لا يتفق مع ما دعا اليه من أن التشبيه أحب اليه من افراق الصوام في التنزيه ، وذلك في الصبغة المتقدمة المنقولة من كتابه (صيد الخاطر) يضاف الى هذا ، أن هذه الصبغة المذكورة في كتابه (مجالس ابن الجوزي) تخالف ما أثبتته في أول هذا الكتاب من صفات الله تعالى على الوجه الذي يليق بالله كما وردت بذلك الآيات والأحاديث .

أما في الفصل (٧١) فانه يعيل الى التفويض في بعض كلامه ثم يعود في نفس الفصل فيضطرب قوله في الموضوع ، حيث ذكر بعض ما وصف الله به نفسه ، وما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم ، من الاستواء ، والنزول والهبط ، وما الى ذلك ثم ذكر أن الناس " منهم من أنكر الاستواء ، والنزول ، ومنهم من لم يقف على ما ذكر في الشريعة " يقول ابن الجوزي

((. . . فان القرآن والحديث يثبتان (٢) الاله عز وجل بأوصاف تقرير وجوده في النفوس ، كقوله تعالى " (ثم استوى على العرش) ، وقوله تعالى ؟ (يسل يداه مبسوطتان) ، وقول النبي صلى الله عليه وسلم " (ينزل الله الى السماء الدنيا) . . . فجاء أقوام فقالوا " ان الله عز وجل ليس في السماء ، ولا يقال " استوى على العرش ، ولا ينزل الى السماء الدنيا ، بل ذلك رجعته ، فمحو من القلب ما أريد اثباته فيها ، وليس هذا مراد الشارع .

وجاء آخرون فلم يقتصروا على ما حده الشرع ، بل عملوا فيه بأرائهم ، فقالوا الله على العرش ، ولم يقتصروا بقوله تعالى (ثم استوى على العرش) (٣) وبعد اعتراض ابن الجوزي على الفريقين ، المؤولة ، والعشيرة ، بما يشعر منه القول بالتفويض حيث يرى الاكتفاء بقراءة قوله تعالى (ثم استوى على العرش) وما شابهه ، يقول معترضاً على من يأخذ بالظاهر ويدع التأويل " (ودفن لهم أقوام من أسلافهم دفائن ، ووضعت لهم الملاحظة أحاديث ،

ف
(١) ابن الجوزي " مجالس ابن الجوزي " ، ١٠ (٢) لعل المراد " صفات الله بأوصاف
(٣) ابن الجوزي " صيد الخاطر فصل (٧١)

فلم يعملوا ما يجوز عليه - تعالى - ما لا يجوز ، فأثبتوا بها صفات -
وجمهور الصحيح منها آت على توسع العرب ، فلأخذوه هم على الظاهر (١)
وهذا القول من ابن الجوزي يبطل اعتراضه على أولئك الذين قال منهم
انهم قالوا " ان الله ليس في السماء ، ولا يقال " (استوى على العرش) ،
ولا ينزل الى سماء الدنيا ، بل ذاك رحمة ، لأن من يقول هذا يعتصد
على أن هذه الآيات والأحاديث الواردة في الصفات ، قد جاءت على توسع
العرب ، .

وهذا - في نظري - تناقض من ابن الجوزي في فصل واحد لم أجده
ما يبرره .

ولا نريد أن نستمر في ذكر ما قاله ابن الجوزي في كتابه (صيد الخاطر)
بالتفصيل ، ولكننا نشير الى أنه ذكر في الفصلين " (١٨٩) ، (١٩٤) " أن
السلف إنما نهوا عن الاشتغال بعلم الكلام لمرعظم ، وذلك أن طمس
الكلام ما يخطئ العقائد ، والتعمق فيه لا يقرب الى معرفة الحقائق ، لأن
الأمر لو كان كذلك لما وقع بين المتكلمين خلاف .

يضاف الى ذلك أن الشرب الأول - كما يقول ابن الجوزي - ما تكلموا في
شئ من ذلك ، وينتهي الى أنه لا خير فيمن لم يرض بمقيدة مثل مقيدة
الصحابة ، ولا بطريق مثل طريق أحمد والشافعي . (٢)

ولكننا لو رجعنا الى كتابه (مجالس ابن الجوزي) لوجدناه يرد على من
من يقول " ان الصحابة لم يشتغلوا بالتأويل . بأن الصحابة لم يتركوا ذلك
لكونه محظورا ، وإنما لأن البدع لم تظهر بمسند .

ويرى ابن الجوزي أن من يترك التأويل لأن الصحابة لم يشتغلوا به *
كمن يترك التداوي ، وهو مريض ، لأنه يرى رجلا صحيحا ، لم يتداو . (٣)

(١) ابن الجوزي " صيد الخاطر فصل (٢١)

(٢) ابن الجوزي " صيد الخاطر فصل (١٨٩ ، ١٩٤)

(٣) ابن الجوزي " مجالس ابن الجوزي ص ١٠ ، ١١

وبعد ما أردناه من النصوص من ابن الجوزي من عدة مؤلفات له ،
يتبين لنا بوضوح ، مدى ما وقع فيه من اضطراب ، وتناقض ، وعدم ثبات
على رأى واحد ، وهذا يؤيد ما قلناه في أول هذا الفصل " من أننا لا
نستطيع أن نصدر حكما عادلا على شخص ما ، إذا ما اعتمدنا على كتاب واحد
من كتبه ، بل يتطلب منا الموقف أن نطلع على ما كتبه في مؤلفاته الأخرى ،
ما أمكننا ذلك ، حتى يكون حكمنا بعد ذلك حكما عادلا ومنصفا .

ولسائل أن يسأل فيقول " بالرغم من إيرادك نصوصا لابن الجوزي مسن
عدة مؤلفات له ، تدل على تناقضه واضطرابه ، إلا أننا مع ذلك نسأل "
كيف يمكن أن يكون حكمك عليه بالاضطراب عادلا ؟ ألست من المحتمل
أن يكون أحد هذه الآراء سابقا على الآخر ، فيكون التأخر حينئذ هو
الرأى الراجح عنده ، والناسخ للمقدم ، أما التأويل ، أو التفويض ، أو
الاثبات ؟

والجواب على ذلك " أن هذا افتراض وجيه ، واحتمال وارد ، ولكننا
نقول ردا على هذا " إن موضع الصفات ، من الموضوعات الصعبة والشائكة
التي دار حولها خلاف كبير ، وجدل واسع النطاق بين الفرق المختلفة ،
حتى رمت الفرق بعضها بعضا بأشنع الألقاب المنفرة . كما بينا ذلك سلفا -
وبناء على هذا فانه إذا كان تمدد آراء ابن الجوزي واختلافها ناتجا عن
تقدم بعض هذه الآراء على بعضها الآخر ، فقد كان من الواجب
على ابن الجوزي أن يبين في أحد كتبه ، بأنه كان يقول بهذا الرأى
" (التأويل ، أو التفويض ، أو الإثبات) ثم رجع عنه ، وهذه الطريقة
هي التي اتبعها كثير من العلماء الذين كانت تتغير آراؤهم تجاه ما
كانوا يعتقدونه ، وأضرب لذلك مثلا ، بأبي الحسن الأشعري ، السبكي
رجح من عقيدة الاعتزال ، فأبان عن ذلك ، وأبو بكر الباقلاني ، وغيرهما .

يضاف الى ذلك ، أننا قد رأينا أن ابن الجوزي كان يختلف رأيه في الكتاب الواحد ، كما بينا ذلك . فما سبب هذا الاضطراب ؟
يجيبنا ابن رجب - رحمه الله تعالى - على هذا التساؤل في كتابه
(ذيل طبقات الحنابلة) فيقول :

((٠٠٠) نعم جماعة من مشايخ أصحابنا وأئمتهم - أي الحنابلة - مذهب
أي ابن الجوزي - الى التأويل في بعض كلامه ، واشتد نكروهم عليه نسي
ذلك . ولا ريب أن كلامه في ذلك مضطرب مختلف ، وهو وإن كان مطلقا
على الأحاديث والآثار في هذا الباب ، فلم يكن خيرا بعمل شبهة
المتكلمين ، وبيان فسادها ، وكان معظما لأبي الوفاء ابن عقيل ، يتابعه
في أكثر ما يجد في كلامه ، وإن كان قد رد عليه بعض المسائل ؟ وكان
ابن عقيل بارعا في الكلام ، ولم يكن تام الخبرة بالحديث والآثار ، فلهذا
يضطرب في هذا الباب ، وتتلون فيه آراؤه ، وأبو الفرج تابع له في هذا
التلون) (١)

وقد ذكر ابن تيمية أيضا أن ابن الجوزي مضطرب في موضوع الصفات ،
وأبى لم يثبت على رأى واحد كأبي الوفاء ابن عقيل ، يقول ابن تيمية
- رحمه الله تعالى - :

((٠٠٠) وأبو الفرج نفسه متناقض في هذا الباب ، لم يثبت على قدم النفي
ولا على قدم الإثبات ، بل له من الكلام في الإثبات نظما ونثرا ما أثبت
به كثيرا من الصفات التي أنكرها في هذا المصنف (٢) ، فهو في هذا الباب
مثل كثير من الخائضين في هذا الباب من أنواع الناس يشتون تارة ، وينفون
أخرى في مواضع كثيرة من الصفات ، كما هو حال أبي الوفاء ابن عقيل) (٣)

(١) ابن رجب " الذيل على طبقات الحنابلة ١ / ١٤٤ ط سنة ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٢ م

(٢) يشير الى كتاب ابن الجوزي " (دفع شبهة التشبيه)

(٣) ابن تيمية " مجموع الفتاوى ٤ / ١٦٦

((الفصل الرابع))

((مقارنة منهج ابن الجوزي بمنهج الامام أحمد

— رضي الله عنه — في الصفات الخبيثة))

((الفصل الرابع))

((مقارنة منهج ابن الجوزي بمنهج الامام احمد رضي الله عنه - في الصفات

الخيرية))

لقد تبين منهج ابن الجوزي في الصفات الخيرية ، وأصبح رأيه واضحاً فيها من خلال مرضنا له في الفصل السابق ، فقد ظهر أنه متناقض في أقواله ، ولا يكاد يستقر على رأى واحد ، فمرة يذهب الى تأويل الآيات والاحاديث الواردة فيها ، وأخرى يقول بالتفويض ويكل العلم بها الى الله تعالى ، وأحياناً يقول بالرأين مما

وفي هذا الفصل لا نقصد من عقد هذه المقارنة استقصاء بحث الصفات الخيرية ومقارنة رأى ابن الجوزي فيها برأى الامام أحمد ، وإنما الذي نقصده - هنا - عدة أمور "

الأمر الأول

أننا ذكرنا في بداية (الفصل الثالث) أن ابن الجوزي ألف كتابه (دفع شبهة التشبيه) ليرد به على بعض الحنابلة المتتبعين الى مذهب الامام أحمد ، والذين نسبوا الى مذهب الامام فسي الصفات ما ليس منه ، وأن ابن الجوزي أراد بهذا الكتاب أن يبين مذهب الامام ، ويؤكد رأيه فيه بالأدلة ، فمر أن ابن الجوزي قد سار في هذا الكتاب على منهج التأويل ، ولم يستطع أن يقدم الأدلة على أن هذا المنهج وهذا الطريق هو رأى الامام أحمد الا أن ابن الجوزي قد ذكر قولاً للامام أحمد - متبينه فيما بعد - ان شاء الله - لعلمه اعتمد عليه في نسبة التأويل الى الامام وسنحاول أن نتتبع أقوال ابن الجوزي لنقف من خلال هذه الأقوال - أو ما يشغله عنه غيره - على ما عساه أن يكون عمدة ابن الجوزي في هذه الدعوى التي ادعاها في كتابه (دفع شبهة التشبيه)

الأمر الثاني

أنا إذا عثرنا على ما اعتمد عليه ابن الجوزي في القول بأن ما ذكره من تأويل الصفات الخيرية هو مذهب الامام احمد ، فان علينا أن نتبين صحة هذه النسبة الى الامام احمد .

الأمر الثالث

سنحاول أن نذكر ما يؤيد حجة ابن الجوزي أو ينقضها من كلام الامام احمد ، لنقف بعد ذلك على الصلة التي تربط مذهب ابن الجوزي في الصفات الخيرية بمذهب الامام احمد ، معتمدين في ذلك على ما كتبه ابن الجوزي من مؤلفاته ، سواء أكانت في كتابه " (دفع شبهة التشبيه) أم غيره من مؤلفاته الكثيرة والمتعددة .

والآن نبدأ الكلام من ابن الجوزي فنقول

الأمر الأول

وهو بيان ما اعتمد عليه ابن الجوزي في نسبة التأويل الى الامام احمد .

يذكر ابن الجوزي عن الامام احمد أنه قال في قوله تعالى " (هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والمعاد) " أن المراد " يأتي أمره وقدرته .

يقول ابن الجوزي في كتابه " (زاد المسير في علم التفسير) (٢) عند تفسير الآية المتقدمة "

قوله تعالى " (الا أن يأتيهم الله) كان جماعة ممن ا لسلف يمسون عن الكلام في مثل هذا .

(١) سورة البقرة آية (٢١٠)
(٢) ابن الجوزي " زاد المسير في علم التفسير ١ / ٢٢٥
وابن الجوزي " دفع شبهة التشبيه ص ٢٥

وقد ذكر القاضي أبو يعلى عن أحمد أنه قال " المراد به قدرته
وأمره ، قال " وقد بعثه في قوله تعالى " (أو يأتي أمر ربك) (١)
ويذكر ابن تيمية أن هذه الرواية المنقولة عن الإمام أحمد في تفسير
هذه الآية ، إنما هي من رواية حنبل (٢) - ابن عم الإمام أحمد - ، ذلك
أن حنبلا نقل عنه في (المحنة) أنهم لما احتجوا عليه - في خلق القرآن -
بقول النبي صلى الله عليه وسلم " (تجيء البقرة وآل عمران كأنهما غمامتان
أو فيايتان ، أو فرقان من طير صواف) وقالوا له " لا يوصف بالآتيان والمعنى
الا مخلوق ، فعارضهم أحمد رحمه الله تعالى بقوله تعالى " (هل ينظرون
إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام) قال قيل " إنما يأتي أمره .
وقد اختلف أصحاب أحمد في هذه الرواية على ثلاث طوائف "

فمنهم من قال "

فلطحنبل ، لم يقل أحمد هذا ، وقالوا " حنبل له غلطات
معروفة وهذه منها . وهذه طريقة أبي إسحاق بن شاذان .

ومنهم من قال "

بل أحمد قال ذلك على سبيل الالتزام لهم = يقول " إذا كان
قد أخبر - تعالى - عن نفسه بالمعجى والآتيان ، ولم يكن
ذلك دليلا على أنه مستخلق ، بل تأولتم ذلك على أنه
جاء أمره ، فكذلك قولوا " جاء ثواب القرآن لأنه نفسه هو الجاني .

(١) سورة الانعام آية (١٥٨)

(٢) هو (حنبل بن إسحاق أبو علي الشيباني ابن عم الإمام أحمد)
قال الخطيب أحمد بن ثابت " كان ثقة ثيبا ، وسئل الدارقطني
عنه فقال " كان صدوقا ، وقال أبو بكر الخلال " قد جاء حنبل
عن أحمد بمسائل أجاد فيها الرواية وأغرب بفهرش " (١٠ - هـ
طبقات الحنابلة ١ / ١٤٢)

ومضهم من قال "

ان احمد قال هذا الكلام ذلك الوقت ، وجعلوا هذه رواية عنه ، ثم من يذهب منهم الى التأويل - كابن مقبل وابن الجوزي وغيرهما - يجعلون هذه عدتهم ، حتى يذكرها أبو الفرج ابن الجوزي في تفسيره ، ولا يذكر من كلام احمد والسلف ما يناقضها (١)

اذن فالعمدة التي اعتمد عليها ابن الجوزي في نسبة التأويل الى الامام احمد هي هذه الرواية المنقولة عن حنبل والتي ذكرها ابن الجوزي في تفسيره (زاد المسير) كما بينا ذلك .

الأمر الثاني "

بيان مدى صحة نسبة التأويل الى الامام احمد رحمه الله تعالى .

يذكر ابن تيمية أن هذه الرواية التي نقلها حنبل عن الامام احمد في (المحنة) لم ينقلها غيره ، ممن نقلوا مناظرته في (المحنة) كمبد الله بن احمد ، وصالح بن احمد ، واليهودى ، وغيرهم . (٢)

لذلك فان أبا اسحاق ابن شاذان اعتبر هذه غلطة من الغلطات المصروفة التي وقعت من حنبل ، حيث أنه قد نسب

(١) ابن تيمية " مجموع الفتاوى ٥ / ٣٩٨ - ٤٠٠

(٢) ابن تيمية " مجموع الفتاوى ٥ / ٣٩٩

الله الخلف في النقل . وما يرجح قول أبي اسحاق بن شاقلا فيسي
أن هذه الرواية قد فُلتَ منها حنبل ، أن عبد الله بن الإمام أحمد قد
نقل عن أبيه في تفسير قوله تعالى " (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة) أنه قال " (يأتيهم الله في ظلل من الغمام ، وتأتيهم الملائكة عند الموت) (١)
فهذا نص من عبد الله بن أحمد عن أبيه في موضع الخلاف يؤيد القول
بضمف الرواية التي نقلها حنبل عن الإمام أحمد .
ويرجح القول بأن الإمام أحمد لم يذهب إلى التأويل ، بل فسر الآية على
ظاهرها كما وردت .

الأمر الثالث

سنذكر شواهد من أقوال الإمام أحمد لنرى بمد ذلك هبل
تتفق هذه الأقوال مع ما ادعاه ابن الجوزي من أن التأويل
هو مذهب الإمام أحمد أو تخالفه ؟ .
من المصروف أن الجهمية يقولون " أن الله تعالى في كل
مكان ، لا يكون في مكان دون مكان . فألف الإمام أحمد كتابه
المصروف بالرد على الزنادقة والجهمية (وتاقشهم في موضوعات
كثيرة منها قولهم هذا ، فقال الإمام أحمد " (بيان ما أنكرت الجهمية أن يكون الله على المصروف)
(٠٠٠) وقد قال تعالى " (الرحمن على العرش استوى) (٢)

(١) عبد الله بن أحمد " كتاب السنة ص ١٦٦ المطبعة السلفية

بمكة سنة ١٣٤٩ هـ

(٢) سورة طه آية (٥)

وقال تعالى " (خلق السموات والأرض في ستة ايام ثم استوى على العرش) (١)
وساق في الاستدلال على ذلك - بالاضافة الى الآيتين السابقتين -
آيات كثيرة ، نذكر بعضها . قال الامام احمد " ((٠٠٠) وقد أخبرنا - الله تعالى - أنه في السماء ، فقال - تعالى - " (أأنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا) (٢) (اله يصعد الكلم الطيب) (٣) (وهو القاهر فوق عباده) (٤) (فهذا خبر ، الله أخبرنا أنه في السماء .
وقال الامام احمد في قوله تعالى " (وهو الله في السموات وفي الأرض) (٥)
- وهو ما استدلت به الجهمية أن يكون الله في كل مكان - يقول الله تعالى (هو الله من في السموات والله من في الأرض وهو على العرش ، وقد أحاط علمه بما دون العرش ، ولا يخلو من علم الله مكان ، ولا يكون علم الله في مكان دون مكان ، فذلك قوله تعالى " (٦) (لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما) (٧)

(١) سورة الأعراف آية (٤) وسورة الحديد آية (٤)

(٢) سورة الملك، آية (١٦-١٧)

(٣) سورة فاطر آية (١٠)

(٤) سورة الأنعام آية (١٨) وآية (٦١)

(٥) سورة الأنعام آية (٣)

(٦) سورة الطلاق آية (١٢)

(٧) الامام احمد بن حنبل " الرد على الزنادقة والجهمية ص ١٦-١٠٢ ضمن

مجموعة (عقائد السلف) تحقيق الدكتور على سامي النشار .

ولنا وقفة مع نعت الإمام أحمد هذا في استدلاله على أن الله على
العرش، وعلمه في كل مكان، لنعود إلى ابن الجوزي في كتابه (دفع
شبهة التشبيه) حيث نجده يذكر هناك ، أن من معاني الاستواء "
الاستيلاء " ، ويقول " (٠٠٠) ينبغي أن يقال " ليس بداخل في العالم
وليس بخارج منه ، لأن الدخول والخروج من لوازم التحيزات " ويقول
أيضا .

(٠٠٠) واحتج بعضهم بأنه على العرش بقوله تعالى " (إليه يصعد
الكلم الطيب) " ويقول تعالى " (وهو القاهر فوق عباده) وجعلوا ذلك
فوقية حصة ونسوا أن الفوقية الحصة إما أن تكون لجسم أو جوهر ، وأن
الفوقية قد تطلق لملو المرتبة فيقال " فلان فوق فلان ، ثم انه كما قال
تعالى " (فوق عباده) قال تعالى (وهو معكم) (١) فمن جعلها على
العلم ، حصل خصمه الاستواء على القهر) (٢) ٠ ١ هـ
وكأنني بأبن الجوزي يرد على امامه - الذي ادعى أنه يدافع عن مذهبه -
في استدلاله على علو الله تعالى على خلقه وأنه على عرشه بائن من خلقه
بقوله تعالى " (إليه يصعد الكلم الطيب) ويقول تعالى " (وهو القاهر
فوق عباده) بأن المراد من هاتين الآيتين علو المرتبة ، كما يقال فلان فوق
فلان وليس المراد الملو الحقيقي ، والا للزم أن نحمل قوله تعالى (وهو
معكم) على الصفة الحقيقية .

وهذا تبين في الآراء ، واختلاف في المنهج بين ابن الجوزي والإمام أحمد
يؤيد ذلك ما نقله الذهبي أن الإمام أحمد سئل " (الله فوق السماء
السابعة على عرشه بائن من خلقه ٠٠٠ وعلمه بكل مكان ؟ قال " نعم
هو على عرشه ولا يخلو شئ من علمه) (٣)

(١) (وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير) سورة الحديد آية (٤)
(٢) ابن الجوزي " دفع شبهة التشبيه ص ١٨ ، ٢٠ ، ٢١
(٣) الذهبي " العلو للملي الخفارض ١٣ الطبعة الثانية سنة ١٣٨٨ هـ ١٩٦٨ م

وهذا لا يتفق مع ما قاله ابن الجوزي في كتابه " دفع شبهة التشبيه " حيث يقول "

((ولستنا نختلف أن الجبار تعالى لا يملوه شيء من خلقه بحال، وأنه لا يمل في الأشياء بنفسه ، ولا يزول عنها ، لأنه لو حل بها لكان منها ، ولو زال منها لتأى عنها)) (١)

وقال ابن الجوزي - أيضا - في كتابه (مجالس ابن الجوزي)

((٠٠٠) ويتنزه - تعالى - من قبول الاتصال والانفصال) (٢)

وهذا القول من ابن الجوزي يخالف تماما قول الامام احمد " بأن الله تعالى بائن من خلقه .

أما صفتا الوجه واليدين ، فقد نقل أبو الفضل عبد الواحد ، بن عبد العزيز التميمي مذهب الامام احمد فيهما فقال "

(ومذهب أبي عبد الله احمد بن حنبل رضي الله عنه " أن لله عز وجل وجهها . لا كالصورة المصورة ، والأعيان المخططة ، بل وجه وصفه بقوله تعالى " (كل شيء هالك الا وجهه) (٣) ومن غير مناه فقد ألحد عنه ، وذلك عنده وجه في الحقيقة دون المجاز ، وجه الله باق لا يبلى وصفة له لا تنفى ، ومن ادعى أن وجهه نفسه فقد ألحد . . . وليس معنى (وجه) معنى (جسد) عنده . ولا (صورة) ولا (تخطيط) ومن قال ذلك فقد ابتدع .

وكان يقول " ان لله تعالى (يدين) وهما صفة له في ذاته ليستا بجارحتين وليستا بمركبتين ولا جسم ، ولا من جنس الأجسام ، ولا من جنس المحدود ، والتركيب ولا الابعاض والجوارح ، ولا يقاس على ذلك ولا له مرفق ، ولا عضد ، ولا فيما يقتضي ذلك من اطلاق قولهم (يد) الا ما نطق القرآن به ، وصحت من رسول الله صلى الله عليه وسلم السنة فيه . قال الله تعالى " (بل يدها مسوطةتان) (٤)

(١) ابن الجوزي " دفع شبهة التشبيه ص ٤٥ - ٤٦
(٢) ابن الجوزي " مجالس ابن الجوزي في المتشابه من الآيات القرآنية ص ١
(٣) سورة القصص آية (٨٨) (٤) سورة المائدة آية (٦٤)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " (كلتا يديه يمين) وقال الله عز وجل " (ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي) (١) وقال " (والسماوات مطويات بيمينه) (٢) ويفسد أن تكون يده القوة، والنعمة والتفضل، لأن جمع يد " أي يد . وجمع تلك أياد .

ولو كانت اليد . . . القوة لسقطت فضيلة آدم (٢) أما ابن الجوزي فانه قال عن صفى الوجه واليدين في كتابه " (دفع شبهة التشبيه) " (قال الله تعالى " (ويبقى وجه ربك) (٣) قال المفسرون " يبقى ربك . وقال الضحاك وأبو عبيدة " (كل شيء هالك الا وجهه) أى الا هو وقد ذهب الذين انكرنا عليهم الى أن الوجه صفة يختص باسم زائد على الذات . فمن أين قالوا هذا وليس لهم دليل الا ما عرفوه من الحسيات وذلك بموجب التمييز ولو كان كما قالوا كان المعنى " ان ذاته تهلك الا وجهه " (٤)

أما صفة اليدين فقال عنها ابن الجوزي " (٥) قوله تعالى " (لما خلقت بيدي) . اليد في اللغة بمعنى النعمة . والاحسان . . . واليد القوة ، يقولون له بهذا الأمر يد ، وقوله تعالى " (بل يدها مسوطاتان) أى نعمته وقدرته . وقوله تعالى (لما خلقت بيدي) أى بقدرتي ونعمتي . وقال ابن الجوزي في الرد على من يقول " لو كان المراد بها القدرة لما كانت لآدم فضيلة " (٦)

((. . . فلا ينبغي أن يتشغل بطلب تعظيم آدم عليه السلام مع الغفلة عما يستحقه الباري سبحانه من التعظيم بنفي الأبعاد والآلات) (٥)

(١) سورة الزمر آية (٦٧)

(٢) أبو الفضل عبد الواحد بن عبد العزيز " طبقات الحنابلة ٢/ ٢٩٤

(٣) سورة الرحمن آية (٢٧)

(٤) ابن الجوزي " دفع شبهة التشبيه ص ١

(٥) ابن الجوزي " دفع شبهة التشبيه ص ١ - ١٣

(٦) سورة ص آية (٧٥)

وهنا يزداد الأمر وضوحاً في الفرق بين مذهب ابن الجوزي والامام احمد ، وكيف أنهما لا يتفقان في الرأي حول الصفات الخيرية ، ولا تريد أن نستطرد في ذكر الأمثلة من أقوال الامام احمد وابن الجوزي ، ولكننا نود قبل أن ننهي هذا الفصل أن نقول " ان مذهب الامام احمد أشهر من أن يحتاج الى بيان . اذ أن الامام احمد أصبح اماماً يقتدى به أئمة مشهورون كابن تيمية وتلميذه ابن القيم ، وأبي الحسن الأشعري السدي سبق أن ذكرنا طرفاً من أقواله التي تابع فيها الامام احمد ، فزيد الأمر تيسيراً — هنا — فنذكر بعض تلك الأقوال فنقول "

قال ابو الحسن الأشعري " (فان قال لنا قائل . . . فصرفونا قولكم الذي به تقولون ، وديانتكم التي بها تدينون قل له " قولنا الذي نقول به ، وديانتنا التي ندين بها ، التمسك بكتاب ربنا عز وجل وبسنة نبينا صلى الله عليه وسلم وما روى عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ، ونحن بذلك معتصمون ، وبما كان يقول به أبو عبدالله احمد بن محمد بن حنبل نضر الله وجهه ورفع درجته ، وأجزل مثوبته قائلون ، ولعن خالف قوله مجانبون ، لأنه الامام الفاضل)

الى أن قال " (وأن الله استوى على عرشه كما قال — تعالى — " الرحمن على العرش استوى) وأن له وجهاً كما قال " (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) وأن له يدين بلا كيف كما قال " (لما خلقت بيدي) وكما قال " (بل يدها مبسوطتان) وأن له عيناً بلا كيف كما قال " (تجري بأعيننا) (١) الى آخر ما قال أبو الحسن الأشعري ، حيث أخذ بمقد لكل صفة بابا خاصاً ويستدل لها ، ويرد الشبهة التي أثيرت حولها .

(١) أبو الحسن الأشعري " الابانة عن أصول الديانة ص ٨ ، ٩ ادارة الطباعة المنيرية .

ونستنتج مما تقدم أن مذهب ابن الجوزي في الصفات الخيرية لا يتفق مع مذهب
الامام احمد فيها ، فقد سار ابن الجوزي فيها على طريقة التأويل أحيانا بالتردد
والاضطراب أحيانا أخرى ، أما مذهب الامام احمد فيها فهو " اثباتها للسم
تعالى كما ورد بها الكتاب والسنة ، من غير تأويل لها وصرف لمعناها عسمن
الظاهر مع تفويض علم الكيفية الى الله تعالى ، يقول اللالكائي حاكما مجمل
اعتقاد الامام احمد رضي الله عنه "

((ومن السنة اللازمة التي من ترك منها خصلة لم يعقلها وهؤ من بها لسم
يكن من أهلها ، الايمان بالقدر خيره وشره ، والتصديق بالأحاديث فيه
والايمان بها ، لا يقال " لم ، وكيف ، انما هو التصديق بها والايمان بهمسا
ومن لم يصرف تفسير الحديث ويبلغه عقله فقد كفى ذلك وأحكم له ، فمليه
الايمان به والتسليم له مثل حديث الصادق والصدوق ، وما كان مثله فسي
القدر ، ومثل أحاديث الرؤية كلها وان ثبت عن الأسماع ، واستوحش منها
المستمع ، فليظن عليه الايمان بها وأن لا يرد منها حرفا واحدا ، وفيها مسن
الأحاديث المأثورات عن الثقات)) (١)

وعلى ضوء هذا النص الوارد عن الامام احمد ، والذي دعا فيه الى الايمان
بأمور كلها تتعلق بالنفب ، كالايمان بالقدر خيره وشره ، والايمان بالرؤية
ما لا يقع شئ منها للحس والمشاهدة ، دعا الى الايمان بها دون سؤال ولا
استفسار منها ، واذا لم يستطع المرء فهم النص الوارد في ذلك ، فانما عليه
الايمان به والتسليم له وأن لا يرد ، لأنه يتعارض مع المقل ، أو لأن فيه
نوع غريبة على سمعه ، واستبشع ما دل عليه ، وورد فيه من أمور غيبية
لا تخضع لميزان العقل والحس .

(١) ابو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي " شرح أصول

اعتقاد اهل السنة والجماعة (٠٠) ورقة ٤١ • مخطوطة صورة ٠٠ جا معة

الملك عبدالعزيز بكمة •

وعلى ضوء ذلك كله نستطيع أن نقول كلمة أخيرة في هذا الفصل وهي " أن الانسان في هذه الحياة له موقفان من الناحية الفكرية : موقف تجاه خالق هذا الكون ومنشئه والمتصرف فيه . وموقف آخر تجاه الكسبون نفسه والنظر فيه ، والاعتبار من تكوينه ، وما يدور فيه ويمش عليه من الكائنات الحية .

أما الموقف الأول

وهو موقف الانسان تجاه ربه وخالقه ، منشئ الكون والمتصرف فيه ، فهو موقف الايمان الكامل ، والتسليم التام بما ورد عن الله تعالى في كتابه الكريم وعن رسوله الأمين صلى الله عليه وسلم مما يتعلق بالله ، والاخبار عن صفاته العليا ، واسمائه الحسنى ، اذ لا طريق الى معرفة ذلك الا بالخبر عن الله تعالى وعن رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم ، لأن ذلك من الأمور التي لا يمكننا الاطالع على حقيقتها ، وادراك كتبها ، الا ترى أننا لو افترضنا وجود جماعة من الناس في فرقة موصدة عليهم ، ثم طرق عليهم الباب طارق دون أن يخبرهم باسمه وصفته ، فأنهم يذهبون كل مذهب للتعرف عليه وعلى شخصيته ، ولكنه اذا ما أخبرهم باسمه وصفته وحاجته فانه لا يسمعون الا التسليم لما قال ، والتصديق بما أخبرهم به ، وليس في وسمهم أن يشكسوا بما أخبرهم به ، لأنه أطمع ضميرهم بنفسه وهو غائب عن أنظارهم فאלله تعالى اذا أخبرنا عن نفسه وصفاته لا يسمعا الا الايمان بها دون أن نخوض في البحث فيها أو أن نقسها بمقولتنا التي لا تتفق عند حد ، ولا تتفق على رأى ، ولقد رأينا كيف أن المسلمين تفرقوا الى فرق وطوائف عندما أخضوا أمور الخيب لميزان العقل البشرى ، فالبحث في القدر نشأ عنه ، وجود القدرية والجبرية ، والبحث في ذات الله تعالى وصفاته نشأ عنه وجود المعطلة الذين عطلوا الله عن صفاته ،

العلمي

التي وصف بها نفسه في كتابه الكريم ، ووصف بها رسوله صلى الله عليه وسلم - في السنة الصحيحة ، كما نشأ عنه وجود المشبهة الذين بالخوا في اثبات صفات الله تعالى حتى شبهوه بخلقه تعالى الله عن ذلك ، ولم يتورع الفريقان عما قالوا ، فعلينا أن نؤمن بما جاء من الله تعالى وعن رسوله صلى الله عليه وسلم ، والتصديق بما دلت عليه ، بدون تشبيه الله بخلقه ، ولا تعطيل للصفات من مدلولها ، وإن رأينا في ذلك غرابة على أسماعنا ، أو رأينا فيها ما يتبادر لنا أنه يتعارض مع العقل ، لأن الإيمان بأسور كهذه دون مناقشة هو ملك الإيمان ، وصدر اليقين بالحس والتصديق الكامل بأسور الغيب ، ألا ترى أن الله لم يطالبنا بالنظر والتدبر في تلك الأمور الغيبية ، بل امتدح الذين يؤمنون بالغيب وجعل ذلك من صفات المتقين ، كما امتدح الذين يخشون ربهم بالغيب بقوله تعالى في أول سورة البقرة " (الم . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب .) الآية (١) وقال تعالى فسي سورة الملك " (ان الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير) (٢)

أما الموقف الثاني

فهو موقف الانسان تجاه هذا الكون الكبير والمالسم الواسع ، والمخلوقات الكثيرة العتمة فقد دعانا الله تعالى الى النظر فيها وحسنا على التدبر في وجودها وتكوينها ، نظر تدبر وتفكر وتعقل ، ذلك لأنه واقع محسوس ، وعالم مشاهد ، يزيد نظر التدبر فيه قوة الإيمان بالله ، ويجدد

(١) سورة البقرة آية (١ ، ٢)

(٢) سورة الملك آية (١٢)

التفكر فيه حقيقة هذا الوجود وفأيته ، وهو أن يكون دليلا على خالقه ومخلقه
لأن ما نشاهده من مظاهرة هذا الكون يدلنا على مالم نشاهده وأنفسه
أعظم من هذا وأكبر وكما قيل " البصرة تدل على البصر والأثر يدل على
المسير ، ولقد دعانا الله تعالى على النظر في مخلوقاته ، ليتحقق الإيمان
بوجوده ويفرد بالعبادة والطاعة دون غيره .

قال تعالى في سورة آل عمران "

(ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب ،
الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات
والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه ففقا مذاب النار) (١)
وقال تعالى في سورة الفاشية " (أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت . والى
السماء كيف رفعت . والى الجبال كيف نصبت . والى الأرض كيف سطحت) (٢)
وقال تعالى " (قل انظروا ماذا في السموات والأرض وما تخفى الآيات
والنذر عن قوم لا يؤمنون) (٣) وقال تعالى " (أولم ينظروا في ملكوت
السموات والأرض وما خلق الله من شئ وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم
فبأى حديث بعده يؤمنون) (٤)

(١) سورة آل عمران آية (١٩٠ ، ١٩٤)

(٢) سورة الفاشية آية (١٧ - ٢٠)

(٣) سورة يونس آية (١٠١)

(٤) سورة الأعراف آية (١٨٥)

السفاحات



((خاتمة البحث))

تبين لنا من هذه الدراسة أن البحث يتكون من باين ، تحت كل منهما فصول ، وأتضح أن الباب الأول كان للتعريف بابن الجوزي ، وقد تناول في فصله الأول دراسة عصر ابن الجوزي من الناحية السياسية ، والعلمية ، والاجتماعية ، حيث بينا بإيجاز كيف كانت تسود بغداد آنذاك الفوضى والاضطرابات ، نتيجة للحروب القائمة بين المسلمين من أهل الحكم ، ولكن هذا لم يكن له أثر محاسن على الحياة العلمية ، فقد كان التلميذ قائما على قدم وساق ، فالعلماء كانوا يقومون بواجبهم في التدريس والتعليم ، والوعظ ، كما وصف لنا ذلك الرحالة ابن جبير في رحلته إلى بغداد .

وأما الحياة الاجتماعية فقد كانت تسودها الفوضى في المعاملة ، وسوء السلوك في الأخلاق ، كما وصف لنا ذلك ابن الجوزي نفسه وابن جبير . وقد كان لانحراف المجتمع الأثر البالغ على ابن الجوزي في بحوثه ، يظهر ذلك من خلال نقده الشديد وعباراته اللاذعة التي وصف بها مجتمع بغداد ، حيث لا يكاد مسلم من نقده أحد . كما كانت تمر بالمجتمع فترات من ضيق المعيشة نتيجة للحصار الذي كان يضرب على بغداد ، وقد عودت هذه الحالة ابن الجوزي على حياة التشقق حيث اكتفى بما رزقه من والده من أن يتمرض للخلفاء أو السلاطين في طلب الرزق .

كما درسنا حياة ابن الجوزي ، منذ ولادته ، ونشأته ، وتكلمت من بعض مشايخه الذين تلقى عنهم العلم ، وذكرت بعض مؤلفاته ، وقد رأينا كيف أنه أكثر من التصنيف ، والتأليف في أنواع العلوم المختلفة ، من تفسير وحديث ، ووعظ ، وعقيدة ، وغيرها ، ولكن معظم هذه المؤلفات لا يزال مخطوطا إذ لم تلق عناية من العلماء لنشرها .

كما تحدثنا في هذا البحث عن المحكم والمتشابه ، والتأويل ، والتفويض ،
وبينا آراء العلماء في ذلك ، وتطرقنا لبحث التأويل بتفصيل أكثر ، حيث
بيننا ، ورود لفظ (التأويل) في القرآن الكريم ، والمعنى المقصود منه
في القرآن الكريم ، وفي اللغة ، وفي اصطلاح العلماء ، وقد توصلنا من ذلك
الى نتيجة هامة ومفيدة وهي "

- ١= أن التشابه الوارد في سورة آل عمران ، انما هو تشابه نسبي اضافي ،
اذا خفى على بعض العلماء علمه آخرون .
٢= أن التأويل يطلق ويراد به ثلاثة معان "

الأول "

التأويل بمعنى "التفسير "

الثاني "

التأويل بمعنى " الحقيقة ، والمآل ، والمرجع والمصير .

الثالث "

التأويل بمعنى " صرف اللفظ عن ظاهره ...

- ٣= أن المعنيين الأول ، والثاني ، من معني التأويل ، هما اللذان ورد
استعمالهما في القرآن والسنة النبوية ، واللغة ، وفي أقوال الصحابة
والتابعين .

أما المعنى الثالث " فلم يكن معروفًا في المصور الأولى ، وانما شاع
استعماله في القرون المتأخرة في ظروف فكرية ، وسياسية فاضحة
ولم يورد أصحابه عليه دليلًا من اللغة .

- ٤= أن قول الله تعالى في سورة آل عمران " (وما يحلم تأويله الا الله
والراسخون في العلم) قد ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره .

الوقف على لفظ الجلالة من قوله تعالى " (وما يعلم تأويله الا الله)
والوقف على قوله تعالى " (والراسخون في العلم) من نفس الآية " (وما يعلم
تأويله الا الله والراسخون في العلم) .

وجمعا بين الأقوال ، وبين القرائن في الآية ، فقد رجحنا ما قاله
بعض العلماء ، وذهب اليه من الجمع بين القولين ، مبينا أن الوقف على
لفظ الجلالة يراد به أن معرفة الحقيقة والمال والمرجع يختص به الله
جل شأنه ، وهذا هو أحد المعاني الواردة في القرآن الكريم ، واللغة
لكلمة (تأويل) .

أما الوصل والوقف على قوله تعالى " (والراسخون في العلم) فيراد به
التفسير ، والمعنى ، فالعلماء يعلمون ذلك ولا يخفى على جميعهم ، وقد
ارتضينا هذا القول خروجاً من الخلاف ، وجمعا بين الأقوال .
كما بحثنا موضع الصفات بوجه عام ، وتوصلنا الى أن ابن الجوزي لا يخالف
في اثبات صفات المعاني لله تعالى ، على أنها صفات زائدة على الذات .
أما موضع الصفات الخيرية ، فقد بينا فيه آراء ابن الجوزي ، بعد عرضنا
لآراء الفرق الأخرى ، وتوصلنا من هذا البحث الى أن ابن الجوزي قد
اضطرب رأيه في الصفات الخيرية ، وأنه لا يستقر على رأي ، وقد
صلنا نتيجة لذلك ، أن الآراء التي سبق ذكرها حول تحديد موقف ابن
الجوزي من الصفات الخيرية ، والتي اعتمد أصحابها على كتابه " (دافع
شبهة التشبيه) حيث قال بعضهم " انه مؤول ، وقال آخرون " انه سلفي
المذهب لأنه صرح بأنه يتكلم برأى الامام احمد ، أقتضول " لقد
نتج عن هذا البحث حقيقة لا ينبغي لكل طالب حق ، وكل منصف أن يغفلها
وهي " أن القول المنقور ، أو السلوك الواحد ^{طابق} الشاهد في حادثة معينة من
شخص ما ، لا يمكن أن تكون — بأي حال من الأحوال — معبرة عن فكره أو سلوكه ،
فلا بد إذن من أجل معرفة الحقيقة ، والانتصاف في القول ، من أن تتبع

أقوال الشخص العرّاد معرفة آرائه ، وذلك من خلال ما كتب ، لنصّدر
بعد ذلك الحكم له أو عليه عن بحث ودراية ، لثلاث نفع فيما وقع فيه هؤلاء
الذين أرادوا أن يحددوا موقف ابن الجوزي من الصفات الخيرية من خلال
كتابه " (دفع شبهة التشبيه) ولثلاث نفع كذلك فيما وقع فيه ابن الجوزي
من اعتماد ، في نسبة التأويل الى الامام احمد على رواية واحدة منقولة عن
الامام احمد ، دون أن يثبت من صحتها ، ويتبع أقواله الأخرى المنقولة
منه من غير تلك الطريق .

كما بينا في بحثنا هذا ، القول الذي اعتمد عليه ابن الجوزي في نسبة
التأويل الى الامام احمد ، وأثبتنا بالدليل أن تلك الرواية ضعيفة ، وقد
ذكرنا ما يناقضها من أقوال الامام احمد ، وتوصلنا من هذا البحث الى أن
الملائقة بين منهج ابن الجوزي ، ومنهج الامام احمد في موضوع الصفات
الخيرية تكاد تكون متفقة ، بل لعل علاقة أصلاً حيث ذهب الأول الى التأويل
أحياناً كثيرة ، بينما التزم الامام احمد مذهب السلف فيها ، وهو الايمان
بها بلا تأويل ، ولا تشبيه .

والحمد لله أولاً وآخراً على نعمه الكثيرة وما توصلنا اليه من توفيق
وهداية ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله . صلى الله على نبينا
محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه الى يوم الدين ، والحمد لله
رب العالمين .

((المراجع))

القرآن الكريم "

ابن الأثير "

الكامل " دار بيروت للطباعة والنشر ١٣٨٦ هـ

النهاية في فريب الحديث "

طبعة الحلبي ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م

ابن تيمية " تقى الدين أبو المباس أحمد بن عبد السلام .

الاكليل في التشابه من التنزيل .

مطبعة " محمد علي صبح وأولاده ، بصر .

التدريسة " ضمن مجموع فتاوى شيخ الاسلام ، طبعة الرياض .

تفسير سورة الاخلاص .

الحكمة الكبرى " ضمن مجموع فتاوى شيخ الاسلام طبعة الرياض .

ابن الجوزي " عبد الرحمن بن علي .

البازي الأشهب المنقش على مخالف المذهب .

مخطوطة مصورة (ميكروفيلم) معهد المخطوطات . جامعة

الدول العربية بالقاهرة برقم (٤٤) توحيد .

تلييس المجلس " دار الوصي العربي - بيروت - لبنان تحقيق " خير

الدين علي .

دفع شبهة التشبيه والرد على المجسة ممن يتحلل مذهب الامام احمد رضي الله

عنه . مطبعة الترقى عام ١٣٤٥ هـ المكتبة الأزهرية

بالقاهرة برقم خاص (٣٧٩٤) توحيد ، و برقم عام (٢٩١٠٥)

(ذم الهوى)

زاد المسير في علم التفسير " طبعة المكتب الاسلامي للطباعة والنشر • ١٣٨٢ هـ

— ١٦٤ م الطبعة الاولى •

صفة الصفوة " الطبعة الأولى •

صيد الخاطر " تحقيق • ناجي الطنطاوي •

مجالس ابن الجوزي في التشابه من الآيات القرآنية (

مخطوطة مصورة (ميكروفيلم) معهد المخطوطات / جامعة

الدول العربية / القاهرة رقم (٢١٦) تفسير •

المنتظم في تاريخ الملوك والأمم " •

الطبعة الأولى " حيدر آباد مام ١٣٦٢ هـ

(ابن حجر العسقلاني) " أبو الفضل أحمد بن علي •

تهذيب التهذيب " طبعة حيدر آباد الطبعة الاولى ١٣٢٥ هـ

ابن خلكان " •

وفيات الأعيان " الطبعة الأولى ١٣٦٧ هـ — ١٦٤٨ م

(ابن رجب) " •

ذيل طبقات الحنابلة " •

مطبوعة السنة المحمدية ١٣٧٢ هـ — ١٩٥٢ م

(ابن سناء) " •

((النجاشة)) الطبعة الثانية ١٣٥٧ هـ — ١٦٢٨ م

(ابن فارس) •

(مقاييس اللغة) " دار احياء الكتب العربية • الطبعة الأولى ١٣٦٦ هـ

تحقيق " عبد السلام محمد هارون •

(ابن القيم) " أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر الشهير

بأبن قيم الجوزية .

اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية .

" النابهر " زكريا علي يوسف .

اعلام الموقعين " تحقيق " عبد الرحمن الوكيل .

(ابن منظور)

لسان العرب " دار بيروت للطباعة والنشر عام ١٩٥٦ م

أبو الحسن الأشعري " علي بن اسماعيل .

الابانة عن اصل الديانة .

" ادارة الطباعة المنيرية .

مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين .

الطبعة الثانية ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م تحقيق محمد محي الدين

أبو الحسين : محمد بن أبي يعلى . طبقات الختابة . مطبعة السنة المحمدية / القاهرة

أبو الحسين " محمد بن أحمد بن جبير (٥٣٩ - ٦١٤ هـ)

رحلة ابن جبير " دار بيروت للطباعة والنشر سنة ١٣٧٩ هـ

أبو عبد الله " أحمد بن حنبل .

كتاب السنة " العطية السلفية بكسة ١٣٤٩ هـ

الرد على الزنادقة والجهمية (

" ضمن مجموعة عقائد السلف تحقيق د " علي سامي النشار .

- أبو الفداء " الحافظ اسماعيل بن كثير
- البداية والنهاية " مطبعة السعادة بمصر
- تفسير القرآن العظيم " مطبعة عيسى الحلبي بمصر

أبو محمد " عبدالله بن احمد بن علي بن سليمان الهافعي اليمني
المتوفى سنة ٧٦٨ هـ
مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان
" مؤسسة الأعلى " بيروت

أبو العظـمـر " يوسف بن قزاقلي التركي الشهير بسبط ابن الجوزي
مرآة الزمان " الطبعة الأولى ، حيدرآباد عام ١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ م

أبو منصور " محمد بن احمد الأزهرى
تهذيب اللغة " دار الكاتب العربي ١٩٦٧ م " تحقيق ~~سليم~~
ابراهيم اليازى

د " احمد شلبي
تاريخ التربية الاسلامية
" الطبعة الثالثة ١٩٦٦ م مكتبة النهضة المصرية

د " حسن ابراهيم حسن
تاريخ الاسلام السياسي
الطبعة الأولى ١٩٦٧ م

عبد العزيز سيف النصر عبد العزيز •
مسائل العقيدة الإسلامية بين التفويض والتأويل وآراء الفرق الإسلامية فيها •
" رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة ، كلية أصول الدين
جامعة الأزهر عام ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٤ م

القاضي عبد الجبار •
شرح الاصول الخمسة " الطبعة الأولى •
" متشابه القرآن " دار التراث / القاهرة •
المفتى في أبواب التوحيد والعدل •
" الطبعة الأولى •

محمد رشيد رضا " تفسير المنار " الطبعة الرابعة ١٣٧٦ هـ - ١٩٦٠ م

محمد السيد الجليلي •
الامام ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل •
ط • مجمع البحوث الإسلامية - الأزهر ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م

محمد فؤاد عبد الباقي •
المعجم المفهرس لافعال القرآن الكريم •
" دار احياء التراث العربي • بيروت ، لبنان •

الألو سي " محمود •
روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني •
الطبعة المئوية

- الايحي " عبد الرحمن بن احمد .
المواقف " شرح السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني التونسي
سنة ٨١٦ هـ الطبعة الاولى ١٢٢٥ هـ = ١٩٠٤ م مطبعة
السعادة بمصر .
- الباقلائي " أبو بكر محمد بن الطيب .
التمهيد في أصول الدين .
منشورات جامعة الحكمة ببغداد تصحيح ونشر الأب / رتشد
يوسف مكاريثي الموسوي المكتبة الشرقية . بيروت ١٩٥٧ م
- البخدادى " أبو منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي .
أصول الدين " الطبعة الأولى ١٢٤٦ هـ
الفرق بين الفرق " تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد .
- البخارى " أبو عبد الله محمد بن اسماعيل
الجامع الصحيح مع شرحه (فتح الباري) لابن حجر المصقلاني .
المطبعة السلفية ومكتبتها شارع الفتح بالروضة القاهرة سنة ١٣٨٠ هـ
- التفتازاني " محمد السدين .
شرح المقاصد .
- الجوهري " اسماعيل بن حماد .
الصحاح " دار الكتاب العربي بمصر . تحقيق " احمد عبد الغفور عطار .
- الجويني " امام الحرمين .
الشامل في أصول الدين .
" منشأة المعارف بالاسكندرية ١٩٦٦ م
تحقيق د . علي سامي النشار .

الخوانساري الأصفهاني •
روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات •
الطبعة الثانية

الخولي " جمعه على محمد •
ابن الجوزي الواعظ ومنهجه في الدعوة الى الله •
" رسالة دكتوراه • كلية أصول الدين بالأزهر عام ١٩٧٣م

الذهبي " شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان •
المعول للمعلي الففار " تصحيح عبد الرحمن محمد عثمان •
الناشر " المكتبة السلفية بالمدينة المنورة الطبعة الثانية ١٣٨٨هـ

- ١٢٦٨ م
تذكرة الحفاظ " الطبعة الثالثة •
ميزان الاعتدال في نقد الرجال •
تحقيق " علي محمد البجاوي •
دار احياء الكتب العربية • الحلبي وشركاه •

الرازي " أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسين القرشي الطبرستاني •
التفسير الكبير " الطبعة الأولى •

الراغب الأصفهاني " أبو القاسم الحسين بن محمد •
المفردات في غريب القرآن " •
تحقيق " محمد سيد كيلاني / مطبعة الحلبي بصر •

الزبيدي "
تاج المروس " الطبعة الأولى سنة ١٢٠٦ هـ

الزرقاني " محمد عبد العظيم "
مناهل العرفان في علوم القرآن "
" مطبعة عيسى البابي الحلبي "

الزركلي " خير الدين "
الاعلام "

الزخشري " أبو القاسم جار الله محمود بن عمر "
الكشاف عن حقائق التنزيل وعبون الأقاويل في وجوه التأويل "
مطبعة الحلبي بمصر ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦ م

السويطي " جلال الدين عبد الرحمن "
الاتقان في علوم القرآن "
الطبعة الثالثة سنة ١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ م

تفسير الجلالين ، مع حاشية الجمل "
" طبعة الحلبي بمصر "
حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة "

الشهرستاني " أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد المتوفى ٤٨٨ هـ
الملل والنحل " تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل " الناشر " مؤسسة الحلبي
وشركاه القاهرة سنة ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٨ م

الطبري " أبو جعفر محمد بن جرير •
جامع البيان عن تأويل آي القرآن
تحقيق محمود محمد شاكر •

المليح " أبو اليمن مجهر الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن
(٨٦٠ - ٩٢٨)

المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد •
تحقيق محمد علي الدين عبد الحميد •
الطبعة الأولى ١٣٨٣ هـ = ١٩٦٣ م

العماد الحنبلي " أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي •
شذرات الذهب في أخبار من ذهب •

الفرزاني " أبو حامد محمد الخوافي سنة ٥٠٥ هـ •
الاقتصاد في الاحتقار •
الطبعة الأولى ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٩ م

الفرزاني •
القاموس المحيط " مطبعة العمادة بمصر •

القاسمي " محمد جمال الدين •
تفسير القاسمي (محاسن التأويل) تحقيق " محمد نؤاد عبد الباقي •
طبعة عيسى الحلبي •

اللائكائي " أبو القاسم هبة الله بن الحسين بن منصور الطبري •
شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة واجماع الصحابة
والتابعين ومن بعدهم •
مخطوطة مصرية جامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة •

المقدسي " أبو محمد شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم

الشافعي .

الروضتين في أخبار الدولتين)

مطبعة وادي النيل سنة ١٢٨٧ هـ

الدمهسي " عبد القادر بن محمد النعمي الدمشقي المتوفى سنة

٩٢٧ هـ

الدارس في تاريخ المدارس

" مطبعة الترقى بدمشق سنة ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م

ياقوت الحموي " أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادى .

معجم البلدان " دار بيروت للطباعة والنشر .

